اليامون

جغرافيا - تاريخ - فلكلور

الدكتور
حكمت عبد الكريم فريحات

الياهون

جغرافيا - تاريخ - فلكلور

اعرف وطنك

الياهون

جغرافيا - تاريخ - فلكلور

تأليف

الدكتور حكمت عبد الكريم فريحات

ماجستير في التاريخ - جامعة الجزائر

شهادة الدكتوراة في الطب - جامعة قسطينة بالجزائر

- مدرس التاريخ في جامعة قسنطينة سابقاً

- رئيس قسم الطب العام بمستشفى عين مليلة في الجزائر سابقاً

رئيس دائرة المهن الطبية في كلية القدس سابقاً

- مساعد مدير مستشفى الأمير فيصل بن الحسين بالرصيفة

2000

رقم التصنيف: : 5.3223ع 9
المؤلف ومن هو في حكمه: حكمت عبد الكريم فريحات
عنوان الكتاب: اليامون
الموضوع الرئيسي: 1- تاريخ
2- العنوان
رقم الإيداع: 667 / 10 / 1989
بيانات النشر : عمان: دار الشروق
● تم إعداد بيانات الفهرسة الأولية من قبل المكتبة الوطنية

● حكمت عبد الكريم فريحات

● اليامون
● الطبعة العربية الأولى : الإصدار الأول ، 2000 .

● جميع الحقوق محفوظة للمؤلف © .

دار الشروق للنشر والتوزيع
هاتف : 4618190 / 4618191 / 4624321 فاكس : 4610065
ص.ب : 926463 الرمز البريدي : 11110 عمان - الاردن
دار الشروق للنشر والتوزيع
رام الله: المنارة - شارع المنارة - مركز عقل التجاري هاتف 02/2961614
نابلس: جامعة النجاح - هاتف 09/2398862
غزة: الرمال الجنوبي قرب جامعة الأزهر هاتف 07/2847003

جميع الحقوق محفوظة، لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو تخزينه في نطاق استعادة المعلومات أو نقله أو إستنساخه بأي شكل من الأشكال دون إذن خطّي مسبق من الناشر.

All rights reserved. No Part of this book may be reproduced, or transmitted in any form or by any means, electronic or mechanical, including photocopying, recording or by any information storage retrieval system, without the prior permission in writing of the publisher.

■ التنضيد والاخراج الداخلي وتصميم الغلاف وفرز الألوان و الأفلام :
الشروق للدعاية والإعلان والتسويق / قسم الخدمات المطبعية
هاتف : 4618190/1 فاكس 4610065 / ص .ب . 926463 عمان (11110) الأردن
Email : shorok Jo@nol.com.Jo

اهداء

﴿ ربنا هب لنا من أزواجنا وذرّياتنا قـرّة أعين واجعلنا للمتقين إماماً﴾ (سورة الفرقان ، آية٧٤) .

إلى قرّة عيني ورفيقة دربي وشريكتي في بناء أسـرتنا ومـسـتـقـبلنا يدا بيـد ... إلى من صبرت واحتملت الكثير وضحّت بالكثير في سبيل راحتي ونجاحي ، فكانت نعم الزوجـة الصـالحـة الداعـمـة والمؤازرة والقانعـة دون أن تنتظر أي مقابل ...

إلى زوجتي زهرية أهدي هذا الجهد العلمي الذي لم يكن ليـتـم انجـازه لولا دعـمـهـا وتعاونها ، مع صادق الوفاء والمودة والتقدير .

الدكتور حكمت عبد الكريم فريحات

المحتويات

مقدمة ١٢

تقديم ١٤

❖ جغرافية اليامون ١٧

- الموقع ١٧

التسمية ١٧

- الحدود ١٨

- المساحة وأنواع الأرض ١٨

- التضاريس الطبيعية ٢٠

- المناخ ٢٣

❖ المواقع الأثرية ٢٤

- القرية القديمة ٢٤

- خربة ابو عامر ٢٤

- النضّارة ٢٥

خربة سروج ٢٥

- خربة الباطن ٢٥

- خربة جدورة ٢٥

- خربة بيرين ٢٥

- عين السبّاع (الشرقية) ٢٥

❖ المقامات وقبور الأولياء ٢٦

- مقام النبي بنيامين ٢٦

- مقام الشيخ مبارك ٢٦

- ضريح الشيخ يوسف ابو الهيجاء ٢٦

- ضريح الشيخ الويسي ٢٧

- ضريح الشيخ فرّاج ٢٧

- ضريح الشيخ محمد قزق ٢٧

❖ لمحة تاريخية ٢٨
- اليامون عبر التاريخ ٢٨
- اليامون في ظل الاحتلال البريطاني ٣١
- معركة اليامون ٣/ ٣/ ١٩٣٨ ..... ٣١
- معركة جنين و مقبيلة في أواخر آيار ١٩٤٨ ..... ٣٤
- اليامون في حرب حزيران ١٩٦٧ ..... ٣٦
❖ اليامون تحت الاحتلال الصهيوني ٣٦
❖ سكان اليامون ٣٩
- العائلات المؤسسة لليامون ٤٠
- العائلات التي سكن اليامون منذ عهد قريب ٥١
❖ المختار ولجنة الختيارية ٥٣
❖ العمارة الشعبية ٥٧
❖ الزراعة ٦٢
❖ الرعي ٧١
❖ السقاية ٧٢
❖ المخابز ٧٥
❖ الزاوية والصوفية في اليامون ٧٨
❖ الحياة الصحية ٨٣
- التداوي بالاعشاب ٨٣
- بعض المعتقدات والطرق في المعالجة ٨٥
❖ تطور التعليم في اليامون ٨٦
❖ العادات والتقاليد ٩٢
- تقاليد الموت ٩٢
- اعتقادات خرافية ٩٥
❖ الأزياء الشعبية (اللباس) ٩٧
- ملابس الرجال ٩٧
- ملابس النساء ١٠١

❖ مراسم الزواج ١٠٢
❖ الاحتفال بليالي رمضان ١٠٩
❖ الاحتفال بالعيد ١١١
❖ الألعاب ووسائل التسلية ١١٣
- العاب الصبيان والشباب ١١٣
- العاب البنات ١١٦
❖ الآلات الموسيقية الشعبية ١١٩
- الدربكة- الشبّابة- البرغول ١١٩
❖ الغناء الشعبي والدبّكة ١٢٠
- الميجانا- المربعّ ١٢٠
المربع المقسوم - الدلعونا ١٢١
- طريق الطول - المثمنّ - الجفرا ١٢٢
❖ الدبكة وانواعها ١٢٣
- السحجة - - الشمالية - حيفا ١٢٣
- عتيل او الواحدة ونص - الشعرواية ١٢٤
❖ اشهر المغنيين الشعبيين (الحدائين) في اليامون ١٢٥
❖ الأمثال العامية ١٢٦
❖ الحكايا الشعبية والخرايف ١٣٨
❖ نُصّ وانصيص ١٤١
❖ جبينة ١٤٥
❖ ست اليدب ١٥٠
❖ القرصة ١٥٦
❖ قصيدة عن اليامون للفنان غازي موسى ١٦١
❖ قصيدة رنين : عدنان فريحات ١٦٢
❖ قصيدة اليامون : عدنان فريحات ١٦٤
❖ المولف في السطور ١٦٥
❖ المراجع ١٦٧

شكروتقدير

مهما عظمت جهود الفرد فإنها ستزداد قوة وعظمة بجهود الآخرين، ورغم الاحباطات التي تعرضت لها أثناء سنوات جمعي لمادة هذا الكتاب من مصادره المتنوعة والمعقدة فإن هناك أشخاصاً لا بد لي من توجيه الشكر الجزيل لهم لما قدموا لي من دعم معنوي ومعلوماتي، وأخص بالذكر منهم كل من ورد اسمه سواء في متن الكتاب أو هوامشه كمرجع استقيت منه معلومة ما عن أي موضوع من مواضيعه، ورغم ما لاحظته من قسوة في تعليقات السيد خالد محمد عبيد فإنني أرى أنه من الواجب عليّ أن أخصه بالشكر والعرفان على ما بذل من جهد حقيقي في مراجعة مادة الكتاب وتصحيح بعض المعلومات وإضافة بعضها الآخر، وكان هو الشخص الوحيد الذي قرأ مادة الكتاب وعلّق عليها تعليقات كثيرة لها أكبر الفائدة وذلك من بين عدد من الأشخاص منهم دكاترة وزّعت عليهم نسخاً من مخطوط الكتاب لمراجعتها واثرائها تصويباً أو اضافة أو حذفاً تفادياً لما قد يحدث من أخطاء غير مقصودة .

دكتور حكمت عبد الكريم فريحات

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

ليست هذه هي المرة الأولى التي أحظى بغبطة تقديم كتاب من كتب الدكتور حكمت عبد الكريم فريحات، يكتبها للقراء والرأي العام في مواضيع ودراسات مختلفة ذات طابع علمي وثقافي معاً . وهو حفظه الله متعلم مثقف، يجيد الى جانب لغتنا العربية المجيدة اللغتين الانجليزية والفرنسية، وهو كما أن مهنته الطب زاول ويزاول تدريس التاريخ في جامعة قسنطينة وكلية القدس ، وبالتالي فهو حفظه الله واسع الاطلاع، ويسرني أن أقدمه للقراء الأكارم بأنه دائب النشاط، متحمس لبذل المزيد من الخدمات الاجتماعية لمواطنيه، وله جلد على الكتابة والتأليف في الشؤون القومية السياسية، كما هي رغبته الملحة في أن يؤلف في الامور الصحية والطبية والاجتماعية .

والذي يعنينا هنا في التقدمة هذه انه كذلك ذو ميل الى الكتابة عن السكان والعشائر الفلسطينية – الأردنية مروراً بالهجرات وتنقل العشائر من خلال الظروف الاضطرارية التي سببت وتسبب النزوح والهجرة، ويتفق معي على أهمية التأريخ للقرى والأرياف والعائلات والعشائر الأردنية والفلسطينية والعربية عامة .

وحيث كان عنوان هذا الكتاب عن قرية من قرى فلسطين الحبيبه فقلمي يراها فرصة سانحة لدعوة هامة تدعو كل الكتاب والمتعلمين والمثقفين الى أن يضاعفوا جهودهم وكتاباتهم ومؤلفاتهم حول فلسطين، مدناً وقرى وأريافاً، ومواقع تاريخية وعشائر وعائلات منذ أن وجدت والى اين هاجرت، وأسباب هجرتها، فينبغي أن يدرك الطفل العربي الفلسطيني أسباب هجرته ووالده وأمه وأسرته، ونتمنى أن يعرف أطفالنا ما يجب أن يعرفوه عن فلسطين ومقدساتها ومواقعها التاريخية، كحطين وعين جالوت وأجنادين والقدس والخليل وطبريا وغيرها مما لا داعي لمحاولة حصره هنا، وكيف الحصر وفلسطين وقدسها الشريف والمسجد الأقصى، وقبة الصخرة، وكل الديار التي حولها باركها الله تعالى، يشعر من يؤلف ويكتب أنه يكتب عن الديار التي باركها رب العالمين، ومنهم الدكتور حكمت فريحات يكتب هنا عن "اليامون" من قرى محافظة جنين موضحاً ومفصلاً وجامعاً ما قد استطاع أن يجمعه من معلومات منذ قديم الزمن مروراً بالعهد الروماني حيث كانت اليامون تعرف باسم "يانو"

مشتهرة في ذلك الحين بزراعة الكرمة، حتى دخلت في رحاب الاسلام في القرن السابع الميلادي، وأول من قد سكنها من المسلمين الفاتحين افراد من قبيلة جذام العربية، وهكذا ظل المؤلف يسترسل في ذكر التطورات السكانية والاجتماعية ليأتي مؤلفه مكتملاً لمزيد من المعلومات ، جزاه الله خيراً عن جهده، مع العودة الى الدعوة بأن يكثر الكتاب عن فلسطين جغرافياً، وتاريخياً، وتطورات سياسية وأدبية وذلك لضمان بقاء عروبة فلسطين راسخة في أذهان الأجيال حتى يأذن العلي القدير بالنصر المؤزر المبين يعيد عرب فلسطين الى ديارهم، وعودة الراية العربية الاسلامية خفاقة فوق ذرى فلسطين ومرتفعاتها الى جوانب مساجدها يؤذن المؤذنون مكبرين: الله أكبر . . الله أكبر . . الله أكبر، تكبيرات كما هي بداية هذه المقدمة فهي النهاية، وليست نهاية، بل استمرارية ترديد هذا الشعار حتى عودة المؤلف ومواطنوه الى اليامون العزيزة، عودة مظفرة بوحدة صفوف الأمة تحت راية الجهاد المقدس .

معالي الأستاذ ضيف الله الحمود

تقديم

اليامون بلد التحدي والبطولات

اليامون قرية من قرى فلسطين الحبيبة عريقة في القدم، ساهمت على مر العصور في تاريخ فلسطين الحافل في البطولات، تقع على سلسلة من الهضاب والتلال التي تشرف على مرج ابن عامر، الذي كان مسرحاً للعديد من الأحداث منذ أقدم العصور، وكان ولا يزال اهالي اليامون ذوي نخوة عربية أصيلة ، فتراهم يهبون رجالاً ونساءً، شيوخاً واطفالاً، للدفاع عن أرض الوطن، الذي يعشقون ترابه، تشهد على ذلك جميع المدن والقرى المجاورة، اذ كان اهالي اليامون اول من يهب لمساعدتهم، وكم من شهيد من اهالي اليامون روى بدمائه الزكية مختلف اراضي فلسطين الحبيبة .

ويتميز اهالي اليامون بانتمائهم لبلدهم، والوفاء لها، مهما فعلت بهم الاحداث، وباعدتهم عن تراب اليامون الغالي، ومهما قسى الزمن، فان اليامون ماضيها وحاضرها يبقى في أذهانهم، وتبقى اليامون قبلتهم الثانية .

ومؤلف هذا الكتاب الدكتور حكمت فريحات هو أحد أبناء اليامون الأوفياء، أكمل دراسته ا لجامعية في ا لجزائر في تخصصات عده كما عمل في الخارج ولكن انتماءه لليامون وحنينه الى ترابها وأهلها لم يغب لحظة عن تفكيره، وصمم على ان يقدم شيئاً لليامون رمزاً لوفائه لاهله وبلده .

بعد أن عاد من الجزائر واستقر في الأردن اراد ان يحقق ما كان يحلم به ايام الغربة، ألا وهو لم شمل اهالي اليامون، وتوحيد كلمتهم، واطلع على المحاولات السابقة لتأسيس رابطة او جمعية تحمل اسم اليامون، واستطاع بمثابرته وجده مع بعض ابناء اليامون تسجيل جمعية اليامون الخيرية وتأسيسها عام ١٩٨٤ في مدينة ا لرصيفة، وعمل نائباً للرئيس لمدة سنتين، ليتفرغ بعدها الى جانب آخر من نشاطه الاجتماعي وهو لمّ شمل افراد عشيرته، عشيرة الفريحات، ورئاسة جمعية أصدقاء الشرطة في الزرقاء، ولجنة زكاة وصدقات عبد الله بن مكتوم في الرصيفة الجنوبية، بالإضافة الى انشغاله بالكتابة والتأليف والتدريس والمعالجة.

عرفت الدكتور حكمت منذ نعومة أظفارنا، أيام كنا نسعد باللعب في حارات اليامون

ويبادرها، وعلى مقاعد الدراسة في مدرسة اليامون الاعدادية، ورافقته في نشاطاته وجهوده لتأسيس جمعية اليامون الخيرية، واطلعت على مؤلفاته المتعددة والمتنوعة في العلوم الطبية، وتاريخ العرب والمسلمين، وعرفت كم بذل من جهد وعناء في تأليف هذا الكتاب، لقلة المصادر والمراجع، ولكنه باصراره ومثابرته تمكن من اخراج هذا الكتاب، ليكون مرجعاً تاريخياً للباحثين والدارسين، فقد أعطى اليامون حقها في هذا الكتاب وقدم لأهلها، وخاصة في ديار الغربة، ما يودون معرفته، وحتى لا يعودون اغراباً الى اليامون، حينما ترفرف راية العروبة فوق ثرى فلسطين الحبيبة .

الى الأمام وجزاك المولى كل خير على كل ما بذلت

مع تمنياتي بدوام التقدم والتوفيق

مصطفى سعيد زايد

رئيس جمعية اليامون الخيرية

جغرافية اليامون

الموقع :

اليامون من قرى شمال فلسطين، يرجع تاريخ انشائها الى العصور القديمة جداً، حيث كانت مأهولة بالسكان، وكانت مسرحاً لأحداث ومناسبات انسانية على جانب من الشأن مما عمل على تخليد إسمها على مر الأيام والسنين .

وتقع اليامون على بعد ثماني كيلومترات الى الغرب الجنوبي من مدينة جنين على خط عرض ٢٧-٣٥ شمالاً وخط طول ١٨-٣٥ شرق خط غرينتش ، وتقع على مسافة كيلومترين الى الجنوب من الشارع السلطاني الرئيسي الواصل بين مدينتي جنين وحيفا والبالغ طوله ٥٥ كيلو متراً، أي أن اليامون تبعد مسافة ٤٥ كيلو متراً الى الجنوب الشرقي من مدينة حيفا، ولا تبعد الابضع كيلو مترات عن مدينة العفولة المحتلة التي تتوسط مرج بني عامر .

وكانت اليامون تعتبر إحدى قرى مقاطعة لجيو في العهد الروماني مما يعني ان البلدة قديمة، وهي حالياً تتبع محافظة جنين ، وتقع على مجموعة تلال يتراوح إرتفاعها ما بين ٤٠٠-٦٠٠ قدم، ومتوسط ارتفاعها ٥٢٢ قدماً عن سطح البحر .

ولقد اقيمت اليامون على أنقاض قرية أثرية قديمة عثر على موقعها قرب باب الجامع القديم تشتمل على أعمدة وتيجان أعمدة وقواعد أعمدة، ومدافن منحوته في الصخر، وقطع معمارية وصهاريج [1] مما يؤكد وجود القرية في عهد الرومان . على أن وجود مقام بنيامين فيها يشير الى وجودها قبل ذلك التاريخ، وأن الرومان أدخلوا عليها بعض التحسينات العمرانية .

التسمية :

كانت تسمى في العهد الروماني يانوا Yanua ولعلها من الفعل «يانواح» بمعنى يستريح ويطمئن وهي تسمية مرتبطة بالموقع الجغرافي الملائم طبيعياً واستراتيجياً، إذ أن القرية تتربع على مجموعة تلال وسط منطقة جبلية لا يسهل على الغزاة الوصول إليها، وهي بالإضافة

إلى جمال الطبيعة الجبلية المليئة بالأشجار المتنوعة ذات الألوان البهية والظلال الوارفة تشرف على مرج بني عامر والبحر الأبيض المتوسط ، وهذا ما أكسبها بالإضافة إلى جمال المنظر إعتدال الطقس والمناخ ، وهذا كله يبعث البهجة والطمأنينة في النفوس مما دفع البعض الآخر أن ينسب إسمها إلى هذه الطمأنينة والراحة . إلا ان البعض الآخر يرى أن إسم اليامون مشتق من كلمة «يمًّا» بمعنى البحر واليم ومجتمع الماء ، وربما كان ذلك مجازاً ، إذ أنها ليست قرية بحرية وإنما يكثر في اليامون عيون الماء وينابيع المياه العذبة المنتشرة في مختلف جهات البلدة كما سيرد ذكره بعد قليل ، وكذلك يقع بالقرب منها نهر المقطع ، ونهر آخر في النقارة وإن يكن قد إختفى .

وقد قيلت آراء كثيرة حول تسمية اليامون بهذا الإسم ، فهناك من يقول بأن هذا الإسم مشتق من «اليمن» نسبة الى مصدر الهجرات البشرية الأولى التي جاءت من اليمن وسكنت المنطقة وأعطتها إسمها ، وذلك منذ حوادث سد مأرب في العصور الغابرة . ويرى البعض أن اليامون أخذت إسمها نسبة للنبي بنيامين اخو النبي يوسف عليه السلام ، وما زال مقامه قائماً فيها يشهد على قدمها وعراقتها في التاريخ .

الحدود :

كانت اليامون في بدايتها تقوم على ظهر تل كبير إلا أنها مع مرور الزمن إمتدت رقعتها واتسعت مساحتها فأصبحت تشغل عدة تلال تقوم وسط مرتفعات جبلية ، وهي تتوسط مجموعة من القرى المحيطة بها من جميع الجهات ؛ فيحدها من الشمال مرج بني عامر بما فيه مدينة العفولة ومدينة مقيبلة ، ومن الجنوب تحدها قرى الهاشمية وكفرقود والعرقة ، ومن الشرق تحدها قريتا كفرذان وبرقين ، ومن الغرب تحدها سيلة الحارثية وخربة سروج .

المساحة :

كانت مساحة القرية العمرانية ٥٨ دونماً ، فكانت تأتي في الترتيب الثامن بين قرى قضاء جنين ، حيث كانت عرّابة هي اوسع قرى جنين من حيث المساحة العمرانية ، وتأتي سيلة الظهر في الترتيب قبل اليامون مباشرة ، اما الآن فقد إمتدت أرجاؤها ، وإتسعت رقعتها وتشعبت نواحيها ، فازدادت المناطق العمرانية على حساب الأراضي الزراعية ، فقد إمتدت من الشمال الى الشارع السلطاني المؤدي الى جنين والذى يبعد عن القرية القديمة مسافة كيلو مترين إثنين ، ومن الغرب إمتد البناء ليصل النقّارة ، وكذلك الحال من الجهتين الجنوبية والشرقية ، وهذا وإن كانت له دلالته الحضارية والاجتماعية فإنه يؤثر سلباً على الزراعة

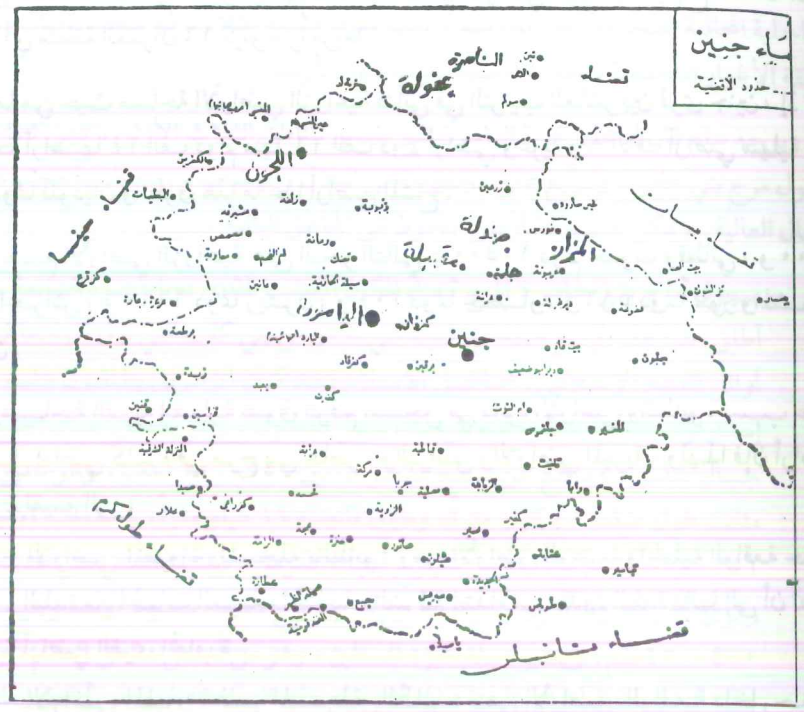

خريطة قضاء جنين

والثروات الفلاحية؛ إذ أنه يؤدي الى نقصان مساحة الأراضي الزراعية، وتبلغ مساحة القرية ذاتها أي منطقة العمران ١٦ كيلو متراً مربعاً.

أما من حيث مساحة الأراضي الزراعية فتأتي في الترتيب العاشر بين قرى جنين، إذ تبلغ مساحة أراضيها ٢٤ الف دونم منها ١٦ الف دونم أراضي وعرية و ٨ آلاف أراضي سهلية منها ٦٣ دونماً للوديان والطرق هذا ما عدا أراضي المشاع.

وتقسم الأراضي الزراعية على النحو التالي: ١٠٥٠٠ دونم حبوب وقطاني، و ١٠٠٠ دونم احراش، و ٦٦٦٠ دونماً زيتون، و ٢٠٠ دونماً خضار، و ٥٨٦ دونماً للوز والمشمش والتين.

ومساحة القرية الفعلية تفوق الرقم المسجل في دائرة الأراضي والطابو، بسبب عدم تسجيل اراضي كثيرة في مرج بني عامر، والبرانس والاراضي الميرية، ولهذا فإن أراضي اليامون تقسم الى:

١- **الاراضي المفروزة والمسجلة بالطابو:** وهي الأراضي الوعرية والجبلية الواقعة خارج البلدة من الجهات الغربية والجنوبية والشرقية إبتداءً من حدود البلدة ذاتها إلى أن تصل أراضي القرى المجاورة.

٢- **الاراضي المفروزة غير المسجلة بالطابو:** وهي الأراضي الواقعة داخل حدود المجلس القروي والحواكير والمنازل وجزء من مرج بني عامر؛ وهي المعروفة بالأراضي الميرية.

٣- **الأراضي المشاع:** وهي الأراضي غير المفروزة وغير المسجلة في قواشين الطابو، وليس لها أي مالك، وانما هي ملك للدولة، وغالباً ما كانت تظل دون إستغلال. ولكن منذ الخمسينات بدأت حكومة المملكة الأردنية الهاشمية رغبة منها في إستصلاح هذه الأراضي وإستثمار ها - تسمح بملكية اي مساحة من قبل أي شخص مقابل غرامة مالية رمزية على أن يتعهد بزراعتها بعد إستصلاحها، فكان لهذه السياسة دور كبير في زيادة مساحة الأراضي المزروعة وبالتالي زيادة الإنتاج من جهة ورفع المستوى الإقتصادي لبعض المواطنين من جهة ثانية، وأهم هذه الأراضي منطقة «الهيش» ومراح باش، والبرانس.

التضاريس الطبيعية لليامون:

تقسم تضاريس فلسطين بشكل عام الى أربعة أقسام متجهة من الغرب الى الشرق، ومنطقة خامسة في الجنوب هي صحراء النقب، أما التضاريس الشمالية فتبدأ بالسهول

الساحلية المحاذية للبحر الأبيض المتوسط، يليها شرقاً منطقة التلال، ثم منطقة الجبال وأخيراً منطقة الأغوار المنخفضة والمحاذية للضفة الغربية لنهر الأردن.

وبوجه عام فإن أراضي قرية اليامون تقع ضمن المناطق الثلاث الأولى، فهي تطل على سهول مرج بني عامر، وتتربع على مجموعة من التلال والهضاب، ويحيط بها مجموعة من الجبال العالية. ويمكن تقسيم تضاريس اليامون الى المناطق التالية:

١- **سهول مرج بني عامر:** المرج معناه المكان المعشب الندي ذو الخضرة الدائمة، وقد أطلق عليه هذا الإسم نسبة الى قبيلة بني عامر من بني كلب التي نزل أفرادها فيه منذ أوائل الفتح الإسلامي. اما قبل الاسلام فقد كان الإغريق يطلقون عليه سهل إسدارلون Esdralon ودعاه الرومان سهل اللجون. وهو يفصل جبال الجليل عن جبال نابلس، ويرتفع عن سطح البحر ما بين ٢٥٠-٢٠٠ قدماً، وهو على شكل مثلث طول ضلعه ٤٠ كيلو متراً، وطول قاعدته ١٩ كيلو متراً، ومساحته الاجمالية ٣٥١ كم٢، وتبدأ قاعدته من سفوح جبال الكرمل، ويمتد ضلعه حتى مدينة جنين وقرى كفرذان واليامون وسيلة الحارثية. يتراوح معدل سقوط الأمطار فيه ما بين ٤٠٠-٤٥٠ملم، ويعتبر «سلّة خبز» فلسطين، وهو من أجمل مناطق العالم، ويهطل عليه الندى معظم ليالي السنة مما له أثر جيد على الزراعة، فهو من أخصب اراضي فلسطين وذلك بفضل مناخه وتربته الصلصالية، وقد وصفه الكاتب الانجليزي لورنس أوليفنت بقوله: «قد يدهش القراء أن يعلموا أن كل فدان من مرج بني عامر يزرع خير زراعة، وأن الأمن يسود نواحيه كلها حيثما توجه المتوجه وقصد، وأنا بذلك كله شهيد وها هو اليوم أمامي بحيرة خضراء يتماوج قمحها حول قرى ودساكر ناهضة كالجزائر فوق هضبة مستقرة آمنة، صورة للخصب والبحوحة باهرة».

وأهم ممراته ممر مجدّو ونهر المقطع اللذين يصلانه بسهل فلسطين الساحلي، كما يجري فيه نهر جالود المشهور بمعركة «عين جالوت» في شهر ايلول سنة ١٢٦٠م (٦٥٨هـ) بين العرب والتتار. ورغم أن الزراعة فيه كانت تعتمد على مياه الأمطار وحدها، فقد أثبت دائماً أنه قادر على انتاج المحاصيل الزراعية الكافية للأهالي، ولو أن المحاصيل تتصف بالتذبذب حسب معدل هبوط مياه الأمطار. أما الآن فقد جلب الأهالي المياه من الآبار الإرتوازية ولا سيما من قرية كفر ذان، وأصبحوا يستعملون الزراعة على طريقة الري والبلاستيك مما زاد في خصبة وتنوع محاصيله.

٢- **التلال:** وهي عبارة عن مرتفعات جبلية متوسطة الإرتفاع، يتراوح ارتفاعها ما بين ٤٠٠-٦٠٠ قدم، وهي مزروعة بالأشجار المثمرة، أما الأشجار الحرجية فتكاد تكون

معدومة، تتخلل هذه التلال مناطق سهلية تختلف في ا لاتساع من منطقة لأخرى، يطلق عليها أسماء تدل على طبيعتها مثل مراح، وخلة، وخور، وجورة، وقطان، وواد، وتقسم هذه المنطقة إلى ثلاثة أقسام هي :

أ- تلال المنطقة الشرقية : أهم هذه التلال هوتل الباطن الذي يزيد ارتفاعه عن ٦٠٠ قدم، وجبل الغزاوي، وحريقة المراجمين وأبو القطّين وجبل ابو قدسية .

ب- تلال المنطقة الجنوبية : وأهم هذه التلال: تلال القراقيد، وظهرة عيسى، والمقرّنة، وحريقة عمرو، والظهور، والركين و اللّحف .

جـ- تلال المنطقة الغربية : أهم هذه التلال في أقصى الغرب عند حدود قرية العرقة حيث تقع ظهرة عواد، والى الشمال منها تقع النقّارة الغربية، ثم إلى الشمال يوجد جبل جورة التينة، والى الشرق باتجاه البلده تقع وعرة ا لزيتونة ثم أم التفاح وظهرة صبّاح، ودائماً باتجاه الشرق تأتي ظهرة أبو الغوش .

٣- **السهول الداخلية** : وهي مناطق سهلية على شكل مراحات او خلايل تقع فيما بين التلال والهضاب، وهي سهول مرتفعة، وأحياناً تشكل منخفضات على شكل أخوار أو وديان، وتربتها جيدة وصلصالية تميل الى اللون البني أو الأسود الفاتح، وقليل منها تميل الى اللون الأبيض، وأهم هذه السهول الداخلية :

أ- سهول المنطقة الشرقية : هذه السهول تتخلل تلال هذه المنطقة، وأهمها : السمّالة، وجورة العين والمقشور، وحريقة الصوص وخلّة صالحة، ووادي رحّال، وخلّة الرهوة، والحمرة، والبرانس، ومراح زيدان.

ب- سهول المنطقة الجنوبية وأهمها خلّة صلاح، والتبرك، والمضماد، وخلايل فروح، وخلّة سلامة.

جـ سهول المناطق الغربية : وأهمها خور سلامة المنخفض والذي يوجد فيه خسفة قديمة، يعتقد الناس أنها تكونت بسبب صعقة برق ورعد، وهي عبارة عن وادي تجري فيه المياه بشكل دائم وهناك وادي جاموس، وإلى الشرق منه تقع الوديان العائدة لعائلة الحوشية .

٤- **مناطق الجبال** : وهي عبارة عن جبال متوسطة الارتفاع ومتفرقة لا تشكل سلسلة متصلة فيما بينها، وتمتاز بكون تربتها من النوع الصلصالي الصالح للزراعة لولا تعرضها لعوامل التعرية بسبب حدّة انحدارها، ولا يوجد فيها كثير من الصخور،

ولكنها تشكل عوائق امام عمليات التنقل والمواصلات، وأعلى قمة جبل في اليامون هو «جبل بيرين» الذي يبلغ ارتفاعه ١٣٠٥ قدماً ، وهو حال دون إتصال قرية الهاشمية باليامون بسبب صعوبة التغلب على تضاريسه لشدة انحداره. ويليه في الأهمية جبل «اللّحِف» الواقع في الجهة الجنوبية الشرقية للبلدة والذي يبلغ ارتفاعه حوالي ٨٠٠ قدم، وهو ذو أهمية تاريخية واستراتيجية، إذ يشكل سداً حاجزاً أمام القرية من الشمال، فيعيق تقدم الأعداء نحوها.

المناخ :

من المعروف أن اليامون الواقعة بين المناطق الجبلية والسهول الساحلية يسودها مناخ البحر الأبيض المتوسط الذي يتصف بأربعة فصول، هي : الصيف والخريف والشتاء والربيع، إلا أنه من الناحية الواقعية فإن هذه الفصول الأربعة تقسم الى فصلين طويلين هما فصل ماطر يمتد عادةً من أوائل شهر تشرين ثاني حتى أوائل شهر نيسان، وفصل حار وجاف يبدأ من أوائل شهر حزيران حتى شهر تشرين الأول.

وبالنسبة للفصل الماطر فلا تهطل فيه الأمطار إلا إذا هبت الرياح العكسية القادمة من صحاري إفريقيا وهي حارة، جافة، تمر فوق البحر الأبيض فتمتص بخاراً غزيراً منه ، وعند إتصالها بسواحل البلاد وجبالها تؤدي الى هطول الأمطار الشتوية الغزيرة، ويبلغ عدد أيام المطر الفعلية في العام ما بين ٤٠-٦٥ يوماً في السنة ويعتبر شهر كانون الأول وكانون الثاني أكثر شهور السنة غزارة في هطول الأمطار، حيث يتراوح من ٤٠٠-٩٠٠ملم، وفي بعض سنوات القحط لا تزيد كمية الأمطار عن ٣٠٠ملم . وغالباً ما ينتهي سقوط الامطار في شهر نيسان إلا أنها تهطل أحياناً في بعض السنوات في شهر أيار. والفترة ما بين شهر نيسان وشهر حزيران تمتاز بالطقس المعتدل والطبيعة الخلابة المزدانة ببساط من العشب الأخضر تزركشه الأزهار المتنوعة الألوان لمختلف الأعشاب والأشجار، وتزيد من روعته أصوات العصافير المغردةطرباً بمقدم فصل الربيع بعد أن تكون قد ملأت بطونها مما طاب ولذّ. أما فصل الصيف الحار والجاف فهو عادةً يمتد من أوائل حزيران حتى أواسط تشرين الأول أو أواخره . وهو يمتاز بالاعتدال والصفاء، ومنذ شهر تشرين الأول يبدأ فصل الخريف برياحه الهوجاء التي تعمل على تعكير الجو لشدتها الى درجة أنها تقتلع بعض الأشجار وتهدم بعض البيوت القديمة ، وتعمل على تعرية الأشجار من حلتها الجميلة فتسقط أوراقها الخضراء، وتنكسر أغصانها الغضة الطرية .

وتتعرض اليامون مثل بقية قرى ومدن المنطقة الى رياح جنوبية غربية ماطرة في فصل الشتاء، ورياح الخماسين التي يطلق عليها الناس إسم الريح الشرقية وهي جافة وحارة

ومزعجة تتسبب في تساقط أوراق الشجر وقلع الأشجار أو تدميرها، وكذلك الرياح الشمالية القادمة من بادية الشام وهي باردة جافة، والرياح الجنوبية الشرقية الحارة والقادمة من صحراء فلسطين وصحراء سيناء .

وبصفة عامة فإن درجات الحرارة في اليامون معتدلة طوال أيام السنة، حيث أن متوسط درجات الحرارة شتاءً ما بين ١٠-١٥م .

أما في الصيف فهي تدور حول ٢٤م . ومعدل درجات الحرارة السنوية هو ٢٠م، أما معدل النهاية العظمى لدرجات الحرارة فهو ٢٨,٥م ومعدل النهاية الصغرى لدرجات الحرارة هو ١٣°، وأنّ اقصى درجة حرارة سجلت هي ٢٤م وأدنى درجة حرارة هي درجة مئوية واحدة، ويبلغ متوسط رطوبة الجو ٥٨٪ . وان أشد الأشهر برودة هو شهر كانون الثاني سنة ١٩٤٤، وأشدّها حرارة شهر آب ١٩٤٤م.

المواقع الأثرية في اليامون

ذكرنا أن اليامون قرية قديمة جداً، وأن القرية الحالية أقيمت على أنقاض القرية القديمة، حيث تم العثور على آثارها المتمثلة بأعمدة وتيجان وقواعد أعمدة ومدافن منقورة بالصخر وصهاريج، ويقوم حول اليامون عدد من الخرائب والمواقع الأثرية القديمة التي تقدم الدليل والبرهان على قدم القرية، فهي تحتوي على عدد من الخرب والشعاب والخلايل والوديان التي يجثم تحت ثراها كثير من الأسرار البشرية، وهذه أشهر الخرب والآثار في اليامون:

١- **القرية القديمة** : وهي التي تم العثور عليها قرب باب الجامع القديم وهي تشمل على أعمدة وتيجان وصهاريج ومدافن منقورة بالصخر وصهاريج مياه، وهي تمتد من الجامع القديم الى الشرق حتى دار الحاج حسين سعادة أبو حسن ، وهي عبارة عن مغارة أو سرداب كبير تم فيه العثور على أدوات وأواني كثيرة كالجرار، وذكر لي شاهد[1] عيان أنه عثر بنفسه في حفريات هذه المنطقة على عظام هيكل عظمي لانسان يبدو كأنه طويل القامة عريض المنكبين وربما هذا يدل على وجود مثل هذه القرية القديمة التي تم طمرها ربما بفعل عوامل الطبيعة كالزلازل مثلاً .

٢- **خربة «ابو عامر»** : وتقع على بعد ٤ كيلومتر جنوب غرب القرية وعثر فيها على تيجان مهدمة وصهاريج وقبور منقورة في الصخر .

١- عوني حسن زين .

٣- **النقّارة** : تقع على بعد ٤ كيلو متر غرب البلدة، وقد عثر فيها على كثير من الآثار كالجرار والأباريق الفخارية والأدوات الحجرية المشذبة التي تشهد على أن الانسان سكن فيها منذ عصور ما قبل التاريخ .

٤- **خربة سروج** : تقع على بعد ٧ كيلو متر غرب البلدة وقد عثر فيها على مخلفات كثيرة ومتنوعة للانسان القديم تبعث على الإعتقاد بأنها تعود الى العهد الروماني .

٥- **خربة الباطن** : تقع على بعد كيلومتر واحد شرق القرية، وقد عثر فيها على بقايا وآثار قديمة ، ويعتقد أنها كانت مركزاً لقرية قديمة ذات شأن كبير .

٦- **خربة جدورة** : تقع على بعد حوالي ٤ كيلومتر شمال قرية اليامون وفي الجهة الجنوبية من مرج بني عامر، وقد عثر فيها على أحجار مبعثرة وأساسات منازل، وصهاريج مياه منقورة في الصخور، ويعتقد البعض أن هذه التسمية جاءت من جادرا Gadra الكلمة السريانية التي تعني الغدير آو بركة الماء .

٧- **خربة بيرين** : تقع على بعد ٤ كيلومتر جنوب اليامون قرب قرية الهاشمية، وهي مشهورة ببئرها الارتوازي القديم الذي تم ترميمه مرات عديدة والذي يشهد أن تاريخ حفرة يعود الى آلاف السنين .

٨- **عين السبّاع أو العين الشرقية** : وهي عبارة عن بئر ارتوازي واسع يبلغ حجمها ١٠ امتار طولاً و ٥ أمتار عرضاً وعشرة أمتار عمقاً بنيت أمام نبع يخرج من كهف صغير يصل اليه مصدر النبع القادم من جهة الجنوب، وقد كنا أيام الصّبا نذهب الى هذه العين ونسبح فيها اثناء فترة الظهيرة حيث يتوقف مجيء النسوة لملء الماء منها .

وهذه العين لها قيمة تاريخية عظيمة عند الناس، حيث يعتقدون أن قصة الزير سالم التغلبي الذي حاكت له زوجة أخيه مؤامرة بالاتفاق مع خصمه وشقيقها جساس الذي كان قد قتل كليب شقيق الزير- للقضاء عليه، فطلبت اليه ان يحضر اليها حليب لبوءة لتشفى من مرض إدعته، فلما وصل الزير سالم الى منطقة هذه العين التي كان يكثر حولها الاسود، ربط دابته بجذع شجرة زيتون وذهب الى العين ليشرب، ولما عاد وجد اسداً ولبوءة قد أكلا حماره فما كان منه إلا أن ضرب الأسد ضربة أفقدته صوابه، فأخذ حاجته من حليب اللبوءة وركب الأسد وقال له : «اللي بوكل حمير العرب بدّه يمشي تحت القِرَب» .

ورغم أن نسب قصة الزير سالم الى العين الشرقية في اليامون غير صحيح من الوجهة التاريخية، فإن هذه الرواية قد تكون حدثت مع شخصية أخرى، أو أنها من نسج الخيال، ولكنها تدل على أن هذه العين قديمة جداً، وما تزال حتى الآن مصدراً رئيسياً للمياه الصالحة للشرب في البلدة .

المقامات وقبور الأولياء

يعتقد البعض أن فكرة تشييد المقامات وأضرحة الصحابة وأولياء الله الصالحين ترجع الى عهد الدولة الفاطمية، إذ تم لأول مرة تشييد مقام للإمام الحسين بن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه بجانب الأزهر الشريف بالقاهرة، وترسخت هذه العادة وقويت في عصر المماليك. ويوجد في اليامون بعض المقامات والأضرحة لبعض أولياء الله الصالحين وذوي الكرامات، وتتمتع هذه المقامات بالتقدير والاحترام من كافة الناس حتى وصلت الى درجة المغالاة بحيث أنهم أصبحوا يتقربون الى الله سبحانه وتعالى عن طريقها وبواسطتها، واكتسبت صبغة مقدسة كان من شأنها أن حفظتها من التدمير والعبث بها، وجلبت اهتمام الناس بها وقيامهم على صيانتها، مما ساعد على استمرارية وجودها وبقائها ثابتة شامخة تقدم الأدلة والبراهين على تاريخ هذه البلدة العريقة. وهذه المقامات هي :

١- **مقام النبي بنيامين:** ويطلق عليه الناس النبي يمين وهو أقدم مقام في القرية، ويدل على قدم البلدة لما قبل عهد سيدنا يوسف عليه السلام، ويقوم المقام على رأس التل القديم الذي انشئت على قمته البلدة القديمة التي تم العثور على بقاياها الأثرية. والمقام عبارة عن صومعة أو بناء على شكل عقد تبرز من وسطه القبّة، ومن الداخل هناك غرفة اولية واسعة توصل إلى غرفة داخلية اكثر اتساعاً من الأولى، تفتح بدورها على كهف ضيق وطويل شديد الظلمة، يعتقد أن القبر موجود داخله، ولكن لم يجرؤ أحد على دخول هذا الكهف ورؤية القبر لاعتقاد الناس أن من يدخل الكهف سيلحق به الضرر، وستحل به نازلة، ويقوم أهالي القرية بتنظيفه وصيانته وإضاءته كل ليلة جمعة بسراج وفتيل يضاء بزيت الزيتون، لاعتقاد الناس أن ذلك يجلب لهم السعادة والخير، وعلى العموم فيشعرون براحة نفسية لذلك.

٢- **مقام الشيخ مبارك :** وهذا المقام موجود في أرض البيدر العائدة للمرحوم والدي (عبد الكريم فريحات)، وهو عبارة عن غرفة واسعة مبنية على شكل عقد ايضاً تبرز من وسطه القبّة، وتحيط بكهف صغير ضيق ومظلم يوجد فيه قبر هذا الشيخ، ويعتقد البعض أنه قبر الصحابي الجليل عبد الله بن مبارك ولكن ليس هناك أدلة تاريخية تثبت صحة ذلك. وكان هذا المقام وما زال يحظى باهتمام الناس ورعايته، فهم يتسابقون لصيانته وخدمته وإضاءته ليلتي الاثنين والجمعة، وكثيراً ما تقوم النساء بإضاءته ليلتي الاثنين والجمعة تنفيذاً لنذر أنذرته ان تحققت لها امنية ما فستضئ مقام الشيخ مبارك واذا حقق الله لها هذه الأمنية فتنفذ نذرها وتضيء المقام.

٣- **ضريح الشيخ يوسف أبو الهيجاء :** وهو الشيخ يوسف حفيد الشيخ محمد ابو الهيجا، وهذا الضريح موجود في مقبرة الظهرة وهو عبارة عن غرفة واسعة ومرتفعة

يقوم وسطها ضريح هذا الولي الصالح، وهناك إعتقاد لدى الناس أن جميع نسله من نساء ورجال يشفون المصاب بمرض «الريح» أي آلام المفاصل والأرجل، وذلك بضرب الشخص عدة مرات على طول رجله وينتخي الشخص الضارب بأبي الهيجاء ويرجوه أن يشفي هذا المصاب. ويحظى هذا الضريح باحترام الناس ورعايتهم له، وان لم تجر العادة على إضاءته مثل النبي يمين والشيخ مبارك.

٤- **ضريح الشيخ الويسي :** هو الشيخ محمد الويسي من أولياء الله الصالحين، كان صاحب علم وطريقة، وكان يقيم في مدينة حيفا، ويتحدث الناس جميعاً شاهدين له بالكرامات التي كان ينعم بها الله عليه، والعلم الذي وهبه له الله.

ومن الروايات المنتشرة عن علم هذا الولي الصالح أنه كان صديقاً حميماً للسيد إبراهيم يوسف حماد فريحات، وذات مرة تعرض الأخير لاعتداء من مجموعة أشخاص ارادوا قتله، وانهالوا عليه ضرباً بالآلات الحادة، وفي نفس هذه اللحظة كان الشيخ الويسي في مجلس في حيفا فشاهده الحاضرون وقد بدأ يصرخ بصوت عال، ويتلقى بصاج من حديد لاحظ الحاضرون عليه علامات الضرب، فاستفسروا منه عما جرى منه، فاخبرهم ان اشخاصاً انهالوا ضرباً على صديقه ابراهيم اليوسف وانه أخذ هو يتلقى عنه الضربات بقدرة من الله تعالى، وبعد الحادث ذهب ابراهيم اليوسف لزيارة الشيخ الويسي في حيفا فبادره قائلاً : أريد منك ثمن الصاج يا أبا زهير فأجابه : ولماذا يا شيخ محمد؟ فأجابه لأنه تلف من تلقي الضربات وصدها عنك، وهنا اندهش ابراهيم اليوسف وروى الحادثة كما وقعت معه، وشهد انه بالفعل رغم شدة الضربات القاتلة التي من شأنها ان تؤدي الى الموت فإنه لم يشعر إلا بضرب غير مؤلم، لأن الشيخ الويسي صاحب الكرامة قد حال بينه وبين ضربات الآلات الحادة.

٥- **ضريح الشيخ فراج :** وهو من اصحاب العلم والولاية والطريقة، وصاحب كرامة من الله تعالى، وهو من عائلة الخمايسة، ويقوم ضريحه في مقبرة الشلفاوي غربي دار العتر، في الحارة الغربية من اليامون، وهو مشهور ومعروف ومجصص، ويحظى بتقدير واحترام الناس.

٦- **ضريح الشيخ محمد قزق :** وهذا أحد أولياء الله الصالحين كان يقيم في حيفا، كان في زيارة للسيد ابراهيم يوسف حماد فريحات قبل مقتله بأيام قليلة، فأخبره بالنبأ وكانا عند ضريح الشيخ الويسي، وطلب اليه ان يكون قبره بعيداً عن ضريح الويسي بمسافة تكفي لقبر فاستغرب ابراهيم اليوسف وقال له : هل تخسر فيّ مجاورة الويسي؟ فأجابه : لا، بل هي ستكون مكان لقبري أنا !! ومن الغريب أن الشيخ قزق توفي ١٩٨٣ اي بعد خمسين سنة من وفاة ابراهيم اليوسف وانه بالفعل احضر من حيفا ودفن في المكان الذي عيّنه.

لمحة تاريخية

أولاً : اليامون عبر التاريخ :

كانت اليامون عبر التاريخ في الأزمنة الغابرة من قرى مقاطعة اللّجون التي كانت تشمل عدداً من القرى الأخرى، مثل : بيت قاد، وزرعين، وتعنّك، والعفولة، وتل القمون، وغيرها .

وقد إزدهرت في العهد الروماني، وكانت تعرف باسم «يانوا Yanua»، واشتهرت آنذاك بزراعة الكرمة، وقد عثر على آثار القرية القديمة الرومانية اسفل القرية الحالية، جهة الجامع القديم بالقرب من مقام النبي بنيامين، حيث عثر فيها على أعمدة وتيجان أعمدة وقواعد تيجان ومصاطب تدل على الفن المعماري الروماني .

ولما استطاع المسلمون فتح فلسطين أثناء الفتوحات الاسلامية لبلاد الشام، دخلت مقاطعة اللجون وقراها بما فيها اليامون تحت راية الاسلام في القرن السابع الميلادي، فسكن فخذ من قبيلة جذام العربية [1] اليامون .

وعندما استطاع القائد المسلم صلاح الدين الأيوبي هزيمة الصليبيين في معركة حطين سنة ٥٨٣هـ / ١١٨٧م، دخل المسلمون منطقة مرج بني عامر، ما بين جنين واللجون والقرى المجاورة كبيسان وزرعين واليامون [2] وفي عهد المماليك كانت اليامون من ضمن اقطاعات الظاهر بيبرس التي أقطعه إياها صلاح الدين الأيوبي سنة ٦٥٢هـ ، والتي شملت المنطقة من جنين الى اللجون، وفي سنة ٦٧٩هـ/ ١٢٨٠م ولّى الملك السلطان المنصور قلاوون الأمير بدر الدين درباس ولاية جنين ومرج بني عامر [3] بما فيه من قرى مثل اليامون وزرعين واللّجّون . وكانت اليامون في عهد المماليك مركزاً من مراكز البريد بين غزة ودمشق ، فكانتا محطتها بعد كفر سابا، ومنها الى زرعين فعين جالوت وبيسان فالمجامع ثم الى إربد فالكسوة جنوب شرق دمشق فدمشق [4] .

١- انظر ص٣٩ من هذا الكتاب .

٢- مصطفى الدباغ، بلادنا فلسطين، جـ٣، قسم ٢ ، ص ٦٣ .

٣- السلوك ، جـ١ ، قسم ٣، ص ٦٨٣ .

٤- المرجع نفسه ، ص ٣٧ .

وفي القرن العاشر الهجري فتح العثمانيون البلاد، وكانت اللجون مركزاً للواء يدعى لواء اللجون، وكانت جنين من جملة قراه [1] وكذلك اليامون وزرعين . أمّا حالياً فإن مدينة جنين هي مركز اللواء الذي كان يضم ٥٨ قرية ، إرتفعت فيما بعد الى ٧٠ قرية ، تقسم إلى ثلاثة اقسام، هي :

- ❖ قرى الشعراوية وهي ٢٠ قرية .
- ❖ مشاريق آل جرار وهي ٢٠ قرية .
- ❖ قرى بلاد حارثة وهي ٣٠ قرية ومنها اليامون، وقد سميت ببلاد حارثة نسبة الى القبيلة العربية «حارثة» التي نزلت هذه الديار في العصور القديمة، وهي من قبيلة طي من العرب القحطانية، وقد ظهر منها الأمراء الحارثيون الذين حكموا هذه الديار . وكانت اليامون محطة للقوافل التجارية ما بين مصر والشام فكانت ملتقى لعدة طرق تجارية ، حيث كانت هناك طريق جنوبية تمر من يعبد وكفر سابا فاللد ثم غزة نحو العفولة وصفد ثم قبنين فصور وطرابلس، والطريق الآخر يمر من زرعين وعين جالوت وبيسان والمجامع فإربد وطفس والضمين فالكسوة فدمشق .

ويبدو أن القرية القديمة قد ضربت بزلزال أدى الى طمر معظم معالمها الحضارية حيث عثر على بقايا الآثار العمرانية والحضارية، ويؤكد شاهد عيان [2] أنه عثر أثناء الحفر في ساحة منزلهم بجانب الجامع القديم على عظام أطراف الأشخاص تدل أنهم كانوا طوال القامات، ومما يدل على أن عملية طمر وليس دفن قد حدثت لهم . وأعادت العائلات الحالية في اليامون بناء القرية تدريجياً، حسب زمن قدومها منذ حوالي ٤٠٠ سنة .

ومنذ العهد العثماني واليامون تتبع قضاء جنين، وتعتبر مركزاً لعدة قرى حولها مثل : العرقة، والهاشمية، وسروج، وكفر ذان، وسيلة الحارثية، رغم انها ادارياً ما تزال بدرجة «مجلس قروي» فقط، بالرغم من التقدم العمراني والثقافي، وازدياد مساحة رقعتها، وإرتفاع عدد سكانها .

١- مصطفى الدباغ، المرجع السابق، ص ١٧٢ ، نقلاً عن وقفية السيدة فاطمة خانون ٤٧٤هـ في اوقاف جنين .

٢- عوني حسن زين .

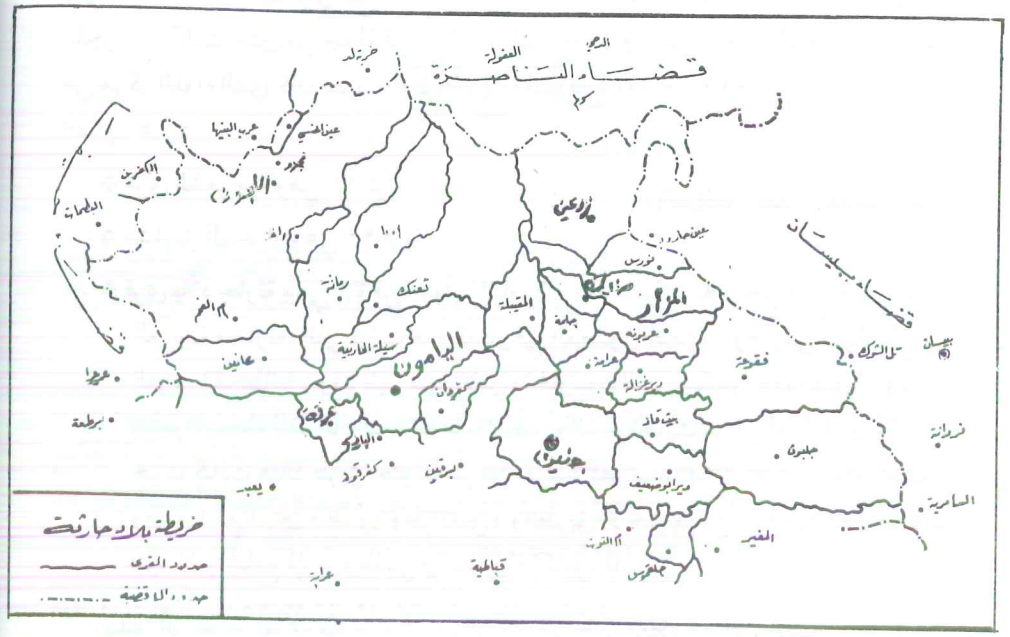

خريطة بلاد حارثة

ثانياً : الياموني في ظل الاحتلال البريطاني

من السّمات الأساسية للشعب الفلسطيني حبه للأرض وتمسكه بها ، واستعداده التام للذود عن حياضها ، وقد أثبت ذلك عملياً طوال الفترات التي كانت تتعاقب فيها على فلسطين امم غازية ومحتلة أجنبية ، وكان آخر هذه الغزوات واشرسها الغزو الصهيوني الذي مهد له وهيأ له الظروف المناسبة الاحتلال البريطاني ، وقد كان الشعب الفلسطيني فطناً للسياسة الاستعمارية البريطانية ، وكان بحنكته وفراسته يعلم نوايا بريطانيا في تهويد فلسطين ، وإعدادها لتصبح كياناً وطنياً لليهود ، فأخذ يقاوم الاحتلال البريطاني عن طريق تنظيم الثورات والانتفاضات المتتالية .

معركة الياموني :

وقد كان أبناء الياموني كغيرهم من أبناء فلسطين سباقين للانتماء للعمل الوطني ضد المحتل ، فلم يكونوا يتوانون عن الاشتراك في الدفاع عن الوطن ؛ فأثناء الثورة العربية الكبرى في فلسطين ١٩٣٨م ، وعندما اشتد ساعد الثورة ، وقويت شوكتها ، واستطاع الأهالي ان يحتلوا معظم المراكز الاستراتيجية في البلاد ، رأت حكومة الانتداب البريطاني التي كانت ماضية في تسليم فلسطين لليهود أنه لا بد من تنظيم معارك نظامية ضارية ضد الأهالي ، فزادت معارك شرسة في معظم القرى ، وكان من بينها وأهمها المعركة التي دارت رحاها في الياموني يوم الجمعة الموافق الثالث من شهر آذار سنة ١٩٣٨م .

لقد قامت القيادة العسكرية البريطانية بتوزيع قواتها على ثلاثة مراكز عسكرية في المنطقة لضمان حسن مراقبتها ، والسيطرة عليها وكان الشيخ عطية احمد عوض[١] قائد الثورة في المنطقة قد أقام مركز قيادته في ياجور ، وكان له مركز قيادة آخر في الياموني في منزل السيد عبد الرحمن عبد الحميد فريحات[٢] ، وكان يساعده في القيادة الشيخ فرحان السعدي ، ومن الشخصيات التي كانت منازلها مقراً للثوار[٣] في الياموني السيد ابراهيم يوسف فريحات ويوسف سعيد حسن ، وسليم حسين اللبدي وأخوه حسن ، وعبد الكريم الحاج نصر .

١- الشيخ عطية احمد عوض من بلدة ياجور قرب بلدة الشيخ ، كان أمياً لا يقرأ ولا يكتب وكانت منطقة قيادته تشمل قرى جنين وشمال فلسطين .

٢- اتفق جميع من رووا أخبار هذه المعركة على هذا لرأي . وهم : ابراهيم عارف سمار ، وعارف علي اللبدي ، وابراهيم مصطفى فريحات : ومحمد كامل نواهضة وحسن الحاج علي ابو سيفين .

٣- خالد محمد ابراهيم عبيد .

وقدرت القوات البريطانية المشاركة في المعركة بخمس أورطات [1] من الجيش البريطاني، وأورطين من البوليس وقوات الحدود (أصحاب الزنانير الحمراء)، تدعمهم ثلاث عشرة طائرة .

وكان المجاهدون قد إحتلوا قرى اليامون وكفر ذان والبارد [2] ، فأخذت قوات الانجليز تفرض الحصار على مراكزهم، فرسموا خطة لمواجهة تلك القوات، وذلك بأن وزعوا المجاهدين في ثلاث نقاط استراتيجية تشكل مثلثا امام قلب العدو . وحدثت مناوشات بين الطرفين قبل ظهر يوم الجمعة ٣/ ٣/ ١٩٣٨م. ويروي السيد عارف علي اللبدي [3] الأحداث في ذلك اليوم فيقول، انه عندما حان وقت الصلاة ظهر الجمعة [4] ، حضر المجاهدون الى مسجد القرية لأداء الصلاة، فوصلت أنباء ذلك إلى الإنجليز ، الذين عملوا عليإستغلال هذه الفرصة وقاموا بمحاصرة المجاهدين، وقامت قوة إنجليزية بمحاصرة اليامون وبينما المجاهدون في صلاتهم بدأت اصوات البارود ترتفع في السماء ، وكان ذلك علامة بدأ المعركة بين المجاهدين والقوات الانجليزية، فأشار عليهم الإمام بإتمام الصلاة حتى النهاية ولو أدى ذلك الى مذبحة جماعية داخل المسجد. وبعد إتمام الصلاة إنتشر المجاهدون يتبعهم الأهالي الى مختلف مراكز المجاهدين المحيطة بالقرية من جميع الجهات. ودارت معارك غير متكافئة بين قوات الاحتلال الانجليزي والمجاهدين، وحمي وطيسها، وقد برهن المجاهدون والأهالي خلالها عن شجاعة فائقة، وإرادة قتالية لا تقهر، وجرأة في مهاجمة العدو، حيث يؤكد جميع الرواة الذين عاصروا المعركة أنهم رأوا الأهالي يهرعون الى ميادين القتال يحملون السكاكين والعصي، وبعضهم كان أعزلاً من كل سلاح، واستماتوا في الدفاع عن القرية، وقد أرغموا معظم قوات الاحتلال البريطاني على التقهقر رغم الحماية الجوية التي كانت تؤمنها لها الطائرات الحربية المقاتلة القاذفة للقنابل. وتمكن المجاهدون من الاحاطة بقوات الانجليز من جميع الجهات تدعمهم فرق المتطوعين من أبناء اليامون والقرى المجاورة، حيث تمكنوا من إيقاف زحف القوات الانجليزية، وإلحاق أفدح الخسائر بها. وقد أسفرت المعركة عن إستشهاد عدد من المجاهدين ذكر بيان الثورة آنذاك أن عددهم عشرة شهداء من بينهم

١- ثلاثة ألاف جندي. انظر الموسوعة الفلسطينية مجلد ٢ ص ٦٤١ .

٢- أصبحت تدعى «الهاشمية».

٣- مقابلة في ٢٠/ ١١/ ١٩٨٦م. وهو من لعب دوراً هاماً في المعركة، من مواليد ١٩١٥م.

٤- يذكر الأستاذ صبحي ياسين في كتاب «الثورة العربية الكبرى في فلسطين» ان المعركة بدأت الساعة العاشرة صباحاً واستمرت حتى الثامنة مساءً . والأصح ان تجمع القوات كان الساعة العاشرة، وأما بدايتها فكانت وقت صلاة الجمعة كما يؤكد أهل اليامون مثل عارف اللبدي وحسن الحاج علي ابو سيفين. اللذين حضرا المعركة .

الشيخ عطية، وسبعة جرحى [1]، إلا أن مصادر القرية [2] تذكر ان عدد الشهداء بلغ أربعين شهيداً بين رجل وإمرأة، وقد كان من بين الشهداء الشيخ عطية نفسه الذي استشهد في كرم الشيخ علي الحاج حسن العباهرة، والمجاهد سليم العتر الذي عرف ببسالته وعناده، حتى ان قائد المجموعة الانجليزية المواجهة له، لم يجرؤ على إقتحام الموقع الذي إستشهد فيه (الكشاش) خوفاً منه، وظناً أنه ما زال لم يستشهد. ومن الشهداء الذين استشهدوا في الكشاش، ايضاً محمد حسين الحوشية، ومحمد مصطفى شيّب عباهرة، ومن الذين استشهدوا في «أبو زريق» المجاهد محمد أحمد ابو صلاح نواهضة، وعبد الحافظ محمود مصطفى حوشية (ابو كَرْوَش)، وكامل يوسف نمر ابوسيفين، وفي منطقة الدقيق استشهد المجاهد مروح ابراهيم خمايسة وفي جبل الباطن استشهد المجاهد محمد محمود الشيخ احمد نواهضة (ابو طشطوش) ، ومن النساء استشهدت المجاهدة حسناء زوجة الشيخ يونس مسعود حمّو . اما الجرحى فكان منهم الشيخ سعيد محمد ابو الهيجاء، وعارف علي اللبدي، وهذه بعض الأسماء التي تمكنت من الحصول عليها ممن شارك في المعركة. يوسف ابو الهيجاء وعارف سمار، ويوسف سعيد سمودي، ومحمد حسن لافي سمارة، وحسن الحاج ابو سيفين ومحمد الحاج علي ابو سيفين ومحمد العبد عباهرة وعارف نصر فريحات، وسليم اللبدي، ومحمد عبد الفتاح حوشية، واحمد راسين عباهرة، وفياض سليمان جرادات وصدقي سليمان جرادات وعبد الرحمن عبد الحميد فريحات وفايز اللبدي وكامل عزيز سمارة وامين حسين سمودي، وخالد عبد القادر زغلول، وعبد السلام حسين ابو الهيجاء ، واحمد الزعنون اللبدي، ونصر الحاج حمد نواهضة، ومحمد سعيد نواهضة [3] هذا بالإضافة الى ثلاثين شهيداً من أبناء القرى المجاورة وخسرت القوات البريطانية مئة قتيل ومئة جريح وطائرة [4] وأود أن أشير الى أن معظم ابناء اليامون شاركوا في هذه المعركة دفاعاً عن الدين اولاً وعن الوطن ثانياً، وما هذه الأسماء التي ذكرتها الا قليل ما زال يذكره من كان موجوداً يومها ثم شارك اهل اليامون مشاركة فعالة في معركة اللجون وأم الفحم، وقد استشهد فيها المجاهد عارف نصر فريحات، والمجاهد سليمان أحمد حمد سمارة [5]، ومن

١- زيادة عودة، عبد الرحيم الحاج محمد، ص ١٠٥ .

٢- عارف علي اللبدي في ٢٠/ ١١/ ١٩٨٦ . ابراهيم عارف سمار لقاء في ١٠/ ٢/ ١٩٨٧ . محمد كامل نواهضة لقاء في ٣١/ ٨/ ١٩٨٩ .

٣- نفس اللقاءات السابقة، وقد وجدت فيها تطابقاً تاماً مما يؤكد صدق الرواة.

٤- صبحي ياسين، الثورة العربية الكبرى في فلسطين، ص ، ١٨٠ ولكن للأسف لم يذكر الأستاذ زياد عودة ، ولا الأستاذ صبحي ياسين في كتابيهما السابقين أيّ اسم من الشهداء او المشاركين من أهل اليامون .

٥- نفس اللقاءات السابقة . وكذلك فعل الأستاذان زياد وصبحي، فرغم ذكر اسماء مجاهدين من قرى أخرى، فإنهما لم يذكرا أي اسم من أهل اليامون !

الذين شاركوا فيها نصر الحاج حمد النواهضة الذي كان يقوم بنقل جثث الشهداء من القرى الأخرى الى قراهم، وهناك اشخاص كثيرون شاركوا في هذه المعارك لكن لم استطع الحصول عليها وقد عمّ الحزن جميع القرى والمجاهدين بسبب استشهاد القائد عطيّة، فقال الشاعر فرحان قصيدة حزينة يرثيه فيها، ويخلد معركة اليامون، منها هذه الأبيات :

بادي باسم الاله الواحد الديّان سبحان ربّ البيت عال المقام
يا ريت اليامون ماكانت بين جبال وجبلها الغدّار ما له زمام
يا أهل فلسطين اصْبُغوا بيوتكم والغاب أبوكم توفى وصرتم الكل ايتام
يا حوف على ابو العبد لو كان في الميدان ليخلي البرانيط أكواماً على اكوام

وقد زادت بريطانيا في فرض الرقابة على المواطنين، وأخذ جنود الاحتلال يتمادون في تعذيبهم، الا ان الشباب لم تزدهم هذه الأعمال الا صلابة، واصراراً على مقاومة الاحتلال، فكثر عدد المناضلين والمجاهدين الذين اقلقوا راحة الانجليز، وكان من اشهر هؤلاء المناضلين المناضل كامل حسن اللبدي (ابو حَمَارة)، الذي اعلنت حكومة الانتداب البريطاني عن تقديم مكافأة مقدارها مئة جنيه فلسطيني لمن يلقي عليه القبض، او يرشد قيادة الجيش البريطاني الى مكان وجوده [1].

معركة جنين ومقيبلة في حرب ١٩٤٨ ومشاركة ابناء اليامون :

في اواخر شهر ايار ١٩٤٨ قررت القوات الصهيونية مهاجمة مدينة جنين من أجل اشغال القوات العربية هناك، وخاصة انه لا يوجد فيها اي تواجد صهيوني سواء كان على شكل مستوطنات او سكان او تجار يهود، وفي الثاني من حزيران ١٩٤٨ هاجمت القوات الصهيونية المجموعة العراقية المتقدمة في خروبة، واشتبكت معها بعنف وضراوة، وقد اتصل قائد المجموعة العراقية بقائد المنطقة [2] وأخبره بكثرة عدد القوة الصهيونية وكثرة اسلحتها وذخائرها، وانه لا يستطيع الصمود أمامها، ولا حتى الإنسحاب والإفلات من يدها. فاتصل قائد المنطقة المقدم نوح بوجوه المدينة وأخبرهم بتفوق القوات الصهيونية المتقدمة باتجاه جنين فهب الأهالي كلهم يدافعون عن المدينة، ولكنهم فوجئوا بكثافة الرصاص الذي انهال عليهم من القوة الصهيونية، وفروا جميعاً، وفي صباح اليوم الثالث من حزيران كانت قوة صهيونية مؤلفة من ثلاثة آلاف مقاتل تحكم الطوق على المدينة. وجاء الأمر الى المقدم نوح بالانسحاب

١- صلاح ابو يصير، جهاد شعب فلسطين خلال نصف قرن.

٢- وهو ضابط عراقي برتبة مقدم، ويدعى نوح.

من المدينة، فأجاب بعدم استطاعته الانسحاب والافلات من الحصار، ، فصدرت الأوامر الى المقدم عمر علي بالتوجه الى جنين لمساعدة المقدم نوح، فتمركزت مجموعته في التلال المحيطة وبدأت بالقصف الفوري للقوة الصهيونية، والحقت خسائر كبيرة بها، ولم يتأخر اهالي القرى المجاورة لجنين عن المساهمة في المعركة حيث جاءت اعداد من المتطوعين من اليامون وسيلة الحارثية ورمانة وقياطية وعرابة والجلمة وعرّانة، بشكل غير منظم وبأسلحة قديمة، واشتبكوا مع اليهود واثخنوهم جراحاً وتقتيلاً، وتمكن قائد السرايا اليهودية وهو جريح ان يخرج من الحصار العربي والانسحاب جهة الجلمة ومقيبلة، فزحفت القوات العراقية يوم ٤ حزيران ١٩٤٨م يدعمها اعداد كبيرة من المجاهدين من اهالي القرى المجاورة، حيث هبّ عدد من شباب اليامون كغيرهم من سكان القرى دونما تنظيم او قيادة لنجدة اهل مقيبلة للدفاع عنها امام خطر القوة الصهيونية التي احتلت القرية، وسرعان ما استطاع الثوار استردادها وتحريرها وما ان اصبح اليهود على وشك الابادة حتى تلقت قيادة القوة العراقية امراً بوقف القتال وعدم التقدم، والحفاظ على جنين فقط فطلب قائد القوة العراقية من المجاهدين الأهالي الخروج من البلدة وترك امر الدفاع عنها الى قوات الجيش العراقي، فاستطاع اليهود عندئذ احتلال القرية من جديد قبيل اعلان مجلس الأمن في ١١ حزيران ١٩٤٨ قرار وقف اطلاق النار واعلان الهدنة وقد استشهد من اهالي اليامون في معركة مقيبلة رجلان هما محمود محمد داوود الثمينات، وعبد الله حسين سلام سمّار الذي استشهد بعد انتهاء المعركة وتوجهه الى قرية المزار للمشاركة في المعركة التي كانت تدور رحاها هناك. وجرح في المعركة ثلاثة اشخاص هم : عيد سعادة حسن فريحات، وسعيد عبد الفتاح حوشية، ومحمود احمد اسعد ابو الهيجاء [2]، اما المجاهدون الذين شاركوا في هذه المعركة [3] فكانوا : عبد المالك سليمان، ومحمد عبد القادر سليمان، واحمد امين تايه نواهضة، وناهض نصر نواهضة ومحمد علي صالح ابو الهيجاء، وراغب الحاج طه ابو الهيجاء، ويوسف محمد ابو الهيجاء، وحسن عبد القادر زغلول، وكامل عزيز سمارة وعبد الرحمن عبد الحميد فريحات، ومحمد عبد المجيد فريحات، وابراهيم عارف سمّار ، وسليم محمد حامد سمودي، وعبد القادر محمد عوض فريحات، وسليمان اللبدي، والشيخ صدقي خمايسة ويونس الحاج عبد الفتاح حوشية، وحسن الحاج علي ابو سيفين.

وقد كان في صفوف القوات العراقية المقدم الشاعر محمود شيث الخطاب، فقال قصيدة رائعة يخلد فيها معركة جنين، مما جاء فيها :

١- نجيب الأحمد، فلسطين تاريخاً ونضالاً، دار الجليل، عمان ١٩٨٥.

٢- ابراهيم عارف سمار مقابلة ١٠/ ١١/ ١٩٨٦م.

٣- ابراهيم عارف سمار مقابلة ١٠/ ١١/ ١٩٨٦م.

أجنين يا بلد الكرام تجلّدي ما مات ثأر درجته دمانا

لا تعذلوا جيش العراق واهله بلواكم ليست سوى بلوانا

مرج ابن عامر ضرّجته دماؤنا أيكون ملكاً لليهود مهانا

اليامون في حرب حزيران ١٩٦٧ :

نظراً لكون اليامون في قرى الخطوط الأمامية، فقد اولتها حكومة المملكة الاردنية الهاشمية اهمية خاصة ، ولا سيما انها تتوسط عدداً من القرى المحيطة بها، والتي تعتبر هي مفتاحها مثل كفردان وعرقة والهاشمية وكفر قود، فقد اهتمت بتحصينها منذ امد بعيد، ، حيث انه تم حفر خندق على طول الناحية الشمالية المواجهة للعدو الصهيوني، وكانت دائماً فرقة من الحرس الوطني وحرس القرى تقوم بالسهر على حراسة القرية وحمايتها من اليهود .

وقد وضع الجيش العربي مدفعاً في البرانس على الشارع السلطاني، ومدفعين في منطقة الوديان، وبضع سيارات لاندروفر، وقوة تتألف من خمسين جندياً .

وكعادتها فان اليامون تعتبر بوابة الغزاة ، إذ يبادر العدو الى احتلالها ليضمن السيطرة والاستيلاء على كامل المنطقة فجاءت القوات الصهيونية المؤلفة من مجموعة دبابات من جهة الشمال من زابد، واخترقت شوارع القرية وقد لبس الجنود الصهاينة اللباس العراقي فاستبشر أهالي القرية خيراً، وخرجوا لاستقبالهم، ولكنهم فوجئوا بأنها قوات صهيونية، وقام الجنود الذين يعملون على المدفعية في الوديان بالمقاومة الباسلة ومحاولة عرقلة تقدم الدبابات الصهيونية، الا ان هذه الأخيرة تمكنت من قتل هؤلاء الجنود وتدمير المدفعية، واستشهد الجنود العاملون عليها وعددهم ثمانية ودفنوا في وديان دار اسعيّد ، وكان ممن استشهد من أهالي القرية في هذا الاجتياح المناضل محمد سعيد خطيب ابو الهيجاء، وممن جرح راغب طه ابو الهيجاء . ثم سارت من جهة وادي حسن الى عرابة فالمثلث للالتقاء بالقوة القادمة من جنين، وطولكرم .

ثالثاً : اليامون تحت الاحتلال الصهيوني :

ومنذ حرب حزيران ١٩٦٧ ترزخ اليامون تحت وطأة الاحتلال الصهيوني الذي ما رضيت عنه يوماً، ولم تخضع له، وطالما عبر ابناؤها الشباب عن وطنيتهم وحميتهم، وصدق انتمائهم، ورفضهم للاحتلال الصهيوني، مما كان يؤدي الى قيام السلطات الاسرائيلية العسكرية بمحاصرة القرية واعتقال الشباب وزجهم في السجون، ونفيهم خارج الوطن

بحجة الانتماء للعمل الوطني، وتنظيم اعمال فدائية بطولية ضد الصهاينة المحتلين ورغم الضغوط التي تمارسها عليها حكومة الاحتلال ممثلة بالإدارة العسكرية، فإن اليامون ترفض الاستفادة من اي مشروع مهما كان ايجابياً من حكومة الاحتلال، وما زالت تصر على رفض الارتباط بشركة الكهرباء القطرية الاسرائيلية، او الحصول على المياه من شركات اسرائيلية، رغم عدم تمكن القرية من استخراج المياه الجوفية في اراضيها .

وعندما فجر الشعب العربي الفلسطيني انتفاضته الخالدة في وجه الاستعباد والطغيان الصهيوني في الثامن من شهر كانون الأول ١٩٨٧ ، وقام قومته الباسلة، وهب هبة رجل واحد، كانت اليامون من اوائل القرى الفلسطينية التي أخذت على عاتقها مهمة مقارعة العدو، والتصدي له بالحجارة، وتحدى شبابها قوات العدو الاسرائيلي، وخاضوا معها مواجهة ضارية، وكانت مواجهة غير متكافئة بين قوة باغية مدججة بالسلاح، وقوة مظلومة مؤمنة ، سلاحها الحجارة، والايمان بعدالة قضيتهم وقد عرض التلفزيون الاسرائيلي صوراً حية عن هذه المواجهة، تدل بوضوح على مدى شجاعة المواطنين وبسالتهم واقدامهم في معركة التحدي .

وفي يوم ١٣/ ٣/ ١٩٨٨م قامت قوات الاحتلال بمداهمة القرية، واشتبكت مع الاهالي، ودار قتال شديد استمر عدة ساعات جرح اثناءها تسعة مواطنين، واعتقل عدد آخر وفرض على القرية حصار تام [١] .

ويروي شهود عيان ان شباب اليامون الملثمين قد اغلقوا الشارع الرئيسي لليامون بالحجارة والبراميل امام قوات الجيش الاسرائيلي حتى انها لم تستطع دخول القرية من هذا الشارع، وهو المنفذ الشمالي الذي اعتاد سلوكه جميع الغزاة الذين غزوا اليامون، وردوهم على اعقابهم مرتين ، الى أن لجأ الاسرائليون الى المكر والخديعة ، فالتفوا على القرية من الجهتين: الشرقية والغربية حيث لا توجد شوارع ولا اتصال مع القوات الاسرائيلية، فباغتوا اهل البلدة من حيث لا يحتسبون، وتمكنوا من دخول القرية وتناقلت وكالات الأنباء خبر اشتباك قوات الاحتلال الصهيوني مع المناضلين من اهل البلدة، وجرى اشتباك بالسلاح الأبيض بين الفريقين، وكان القتال يدور من شارع الى شارع، ومن بيت الي بيت، وقد جرح فيه عدد كبير من المناضلين[٢]، وتم اعتقال حوالي ٤٠٠ شخص آخر[٣]، وعلى الفور اتخذت قوات الإحتلال اجراءات قمع تعسفية وحشية إذ قطعت التيار الكهربائي عن البلدة، واستشهد

١- الإذاعة الأردنية يوم ١٤/ ٣/ ١٩٨٨م .

٢- يقول القادمون من اليامون ان عدد الجرحى بلغ مئة جريح .

٣- التلفزيون السوري في ١٤/ ٣/ ١٩٨٨ نقلاً عن وكالة فرانس برس .

الشاب محمود نعمان حوشية، وفرضت عليها طوقاً من الحصار العسكري والاقتصادي ومنعت المواطنين من التزود بالمواد الغذائية او الوقود اللازم لاعداد الطعام والتدفئة من شر برد الشتاء القارس، بل لقد أخذ جنود الاحتلال الصهيوني يداهمون المنازل ليلاً بطريقة وحشية بدائية تتنافى وادنى مبادئ الاعراف الأخلاقية والسياسية والدولية، فيثيرون الذعر بين النساء والأطفال بحثاً عن الشباب الملثمين، واعتقال اي شاب يجدونه في المنزل، مما اضطر الشباب الى هجر منازلهم للاقامة ليلاً في الكهوف وتحت الأشجار في أراضي القرية الوعرة، وفي النهار يلتقون في القرية لمواصلة الكفاح ومقاومة الاحتلال، والتعبير عن رفضهم للوجود الاستعماري الصهيوني.

وقد تجلت الروح الوطنية عند اهالي فلسطين من المواقف الشجاعة التي وقفها اهل القرى المجاورة، تلك المواقف التي اتسمت بالتعاون والتضامن مع شباب اليامون، إذ اخذ اهل كفر ذان والهاشمية وكفرقود وسيلة الحارثية يمدونهم بالمواد الغذائية، ومواد الوقود، واستقبالهم ليلاً وايوائهم، وتقديم المساعدة اللازمة لهم.

وأمام صمود هؤلاء الشباب، وقوة ارادتهم وعزيمتهم، وعدم استكانتهم او استلامهم انسحبت قوات الاحتلال من القرية، لتبقي السلطة الفعلية فيها لشباب الانتفاضة الملثمين البواسل، الذين هددوا العملاء والخونة بضرورة التراجع عما هم عليه، والتزام منازلهم واعلان توبتهم والا فإن مصيرهم الموت، وبالفعل فقد حضر الى المسجد العملاء والخونة واعلنوا توبتهم واقسموا يميناً على المصحف بالا يعودوا الى التعامل مع العدو، ثم طلب الملثمون من رجال الشرطة ضرورة الاستقالة من وظائفهم، وبالفعل استجاب هؤلاء للنداء، واعلنوا استقالتهم من الشرطة وقلما يمر يوم دون ان تورد وكالات الأنباء العالمية اخباراً عن حدوث اشتباكات في اليامون بين شبابها وقوات الاحتلال، وجرح عدد كبير واعتقال اعداد اكبر، واستشهاد عدد آخر وقد بلغ عدد الشهداء تسعة [1] من خيرة شباب البلدة، وما زال شباب اليامون حتى كتابة هذه السطور في شهر نيسان ١٩٨٩ يقلقون راحة العدو، ويتحدونه برفع الاعلام الفلسطينية، وقذف جنوده بالحجارة، دون ان يملّوا أو تخور عزيمتهم [2] وقد بلغ عدد الشهداء الذين قدمتهم اليامون اثناء الانتفاضة المباركة ثمانية عشر شهيداً هم :

محمود نعمان حوشية، وحسين محمود شاهين، ومحمد فارس زين، نائل فخري خمايسة، بسام ابراهيم علي سمودي، نصر حسن عباهرة، ابراهيم داوود ابو حمدية، صالح مبدا غزال فريحات، باسم فتحي الحاج نمر شعبان، امجد محمد مفلح عباهرة، اياد احمد عبد الكريم سمار الطفلة براءة حسن لطفي اللبدي، خليل نادر خمايسة، محمد احمد عبد الله ابو صلاح ومحمود مرعي حسن سمودي.

١- انظر الملاحق في آخر هذا الكتاب.

سكان اليامون

اقدم القبائل العربية التي سكنت اليامون، قبيلتا جذام ولخم، وهما قبيلتان شقيقتان تنتسبان الى جذام وأخيه لخم، وهما من بطون كهلان من القبائل القحطانية. ترجع القبيلة الاولى الى جذام وهو عمرو بن عُديّ بن الحارث بن مرّة بن أدر بن زيد بن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان، اما الثانية فتعود الى شقيقه لخم، وهو مالك بن عمرو . . . الخ . ويزعم بعض نسابة مضر أنهم من معد بن عدنان. ارتحلوا إلى اليمن وأقاموا فيها ردحاً من الزمن، ثم أقاموا في الأرض ما بين مدين وتبوك، ثم اتجه أحد افخاذهم الى الأرض مما يلي طبريا من أرض السهول التي تلي شمال اليامون[1]، واصبحت كل تلك السهول تعرف بمرج بني عامر. وعامر هذا هو ابن عذرة بين زيد اللات بن رقيدة بن ثور بن كلب (من قضاعة من القحطانية). وبنو عذرة معروفون بشدة العشق، فكان منهم جميل بن عبد الله بن معمر وصاحبته بثينة بنت ثعلبة، وقد قيل لعذرة: ما بال الرجل يموت منكم في هوى امرأة؟! فقال: لأن فينا جمالاً وعفّة.

اما السكان الحاليون لليامون فيعودون الى شرقي الأردن او مصر، وحوران واليمن، وقد تطور عدد سكانها تطوراً ملحوظاً من حيث الزيادة في العدد، وأول احصائية للسكان سنة ١٩٢٢م اوجدت في اليامون ١٤٨٦ نسمة، بلغوا في عام ١٩٣١م ١٨٣٦ نسمة، منهم ٨٩٦ رجلاً و ٩٤٠ انثى، ويسكنون في ٣٧١ منزلاً. وفي عام ١٩٤٥م قدر عدد سكان اليامون بـ ٢٥٣٠ نسمة، ارتفع هذا العدد في احصائية سنة ١٩٦١م الى ٤١٧٣ نسمة منهم ٢٠١٧ ذكراً ٢١٥٦ أنثى [2]، جميعهم مسلمون اما الآن فيقدر عدد سكان القرية بحوالي ١٦ الف نسمة منهم، اربعة آلاف وخمسماية يعيشون خارج القرية، اي في المهجر، واحد عشر ألفاً وخمسماية ما زالوا صامدين يعيشون داخل القرية، منهم [3] ٤٠٠ شخص يعملون كمعلمين وموظفين، و ٧٠٠ عامل، و ٢٠٠ تاجر، و٦٠٠ مزارع، ينتمون الى ثلاثين عائلة سكنت اليامون منذ اكثر من مئتي سنة وهناك إحدى عشرة عائلة يعود تاريخ إقامتها في البلدة إلي ما بين مئة الى مئة وخمسين عاماً. ونتحدث فيما يلي عن هذه العائلات من حيث الأصل، وقدومها الى اليامون، وأود أن أؤكد وأثبت أن كتابتي عن العائلات مجردة، نزيهة، دون

١- عمر كحالة، معجم قبائل العرب ص ١٧٤.

٢- مصطفى مراد الدباغ، بلادنا فلسطين، جـ٣، قسم ٢، الديار النابلسية، ط الطليعة: ١٩٧١، ص١٩٧.

٣- رسالة رسمية من رئيس مجلس قروي اليامون، بتاريخ ٢/ ١/ ١٩٨٦ بدون رقم، بناء على طلبي.

تحيز او تمييز أو مفاضلة [1]، وان المعلومات الواردة معظمها، بل جلّها مأخوذة عن المرحوم والدي عبد الكريم فريحات الذي كان معروفاً باهتمامه بالأنساب والتأريخ، وقد ترك لنا بعض الأوراق في هذا الشأن، . وحاولت جاهداً الحصول على معلومات إضافية عن هذه العائلات من ابنائها ، فوفقت في بعضها، ولم اوفق في البعض الآخر، وكان يقول لي كل من أسأله : تسألني، ووالدك هو مؤرخ البلد، ولديه أحساب وأنساب أهل اليامون كلهم !. لذا فإنني أرجو من أبناء العائلات التي لم تعط حقها من التفاصيل أن يتفضلوا مشكورين بتزويدي بأية معلومات لديهم، لأعمل على استكمال النقص في الطبعة القادمة لهذا الكتاب ان شاء الله، راجياً إياهم ان يقبلوا عذري ولا ينحون باللائمة عليّ .

أولاً : العائلات المؤسسة لليامون :

١- **عائلة حمّو** : وهي أول عشيرة عرفت في اليامون الحديثة ، وأصلها من اليمن، وأقامت في المنطقة الوسطى باتجاه الغرب من الهضبة الأصلية للقرية . وتشتهر هذه العائلة بالزهد والتقوى، فكان الشيخ عيسى وولديه سليم ومحمد أول من انشأوا أول زاوية صوفية في اليامون ، وكان الشيخ عيسى أقدم مختار عرف لليامون . وكان الشيخ محمد الحاج عيسى خليفة الزاوية الصوفية في اليامون، وقد كان على جانب كبير من الأخلاق الحميدة والالتزام الديني، وكان صاحب الطريقة الصوفية فهو الذي يمنح الرتب لأعضاء الزاوية، وقد وهبه الله تعالى عدداً من الكرامات شهدت بنفسي بعضها .

وهناك من يقول ان عائلة حمّو وعائلة ابو سيفين عائلة واحدة [2] من أب وأم يعود تاريخ وجودهم الى القرن الثالث عشر (١٣) الميلادي، وبسبب خلاف بين الأخوة انقسمت العائلة الى عائلتين، ويقدم اصحاب هذا الرأي الدليل بأن منازل العائلتين متجاورة وكذلك اراضيهم الزراعية مما يعني انها كانت لجد واحد ثم قسمت على نسله ، وهذا الحال بالنسبة لبقية العائلات حيث نجد ان منازلها وأراضيها متجاورة .

١- ارجو ان اوضح لكل من قد يحاول توجيه انتقاد لما كتبت عن العائلات أو الأسماء التي ذكرتها في الجهاد ضد الاحتلال انني لم اقصد في ذلك سوى تقديم جهد متواضع لليامون وأهلها دون أدنى انحياز لعائلة أو شخص، وأن هذا ما استطعت الحصول عليه ممن قابلتهم من أبناء اليامون، ولا شك ان هناك اسماء اخرى لها دور هام في تاريخ اليامون لكن لم استطع معرفتها، وليس هذا انتقاص لحق اي كان .

٢- والدي عبد الكريم فريحات .

٢- **عائلة أبو سيفين** : وهي ثاني أقدم عائلة سكنت اليامون الحديثة ، وأقامت في الحارة الغربية من البلدة . وقد جاءت هذه العائلة من اليمن . ويروى ان سبب التسمية «ابو سيفين» ان جد العائلة ، كان مشاركاً في صفوف قوات أحمد باشا الجزار وأثناء إحدى المعارك قتل هذا الشخص أحد جنود الأعداء ، وأخذ سيفه، وصار يضرب الاعداء بسيفين في كلتي يديه . فاطلقوا عليه « أبو سيفين» [1] وقطنوا الحارة الغربية من البلدة .

٣- **عائلة أبو سليمان** : هذه العائلة فخد من عائلة أبو سيفين، انفصلت عنها بسبب ان احد ابناء ابو سليمان قتل شخصاً من اليامون [2] وفرضت عليه الديّة، فرفض آل ابو سيفين ان يدفعوا معه في الديّة، فانفصل عن العائلة، وأصبح يشكل عائلة خاصة به، تعرف بعائلة ابو سليمان، وارتحل من مواطن العائلة الى جهة الشرق، قرب دار شاهين .

٤- **عائلة شاهين وبقلة** : هاتان العائلتان هما فخدان لعائلة واحدة ، هي عائلة بقلة [3] ، يعتقد انها ترتبط بأواصر القربى مع عائلة الفاهوم في الناصرة [4]، ومن هناك ارتحل بقلة الى اليامون . وبسبب خلاف بين الأخوين شاهين ومحمد انفصل شاهين عن أخيه محمد ، وكوّن عائلة خاصة به تعرف بعائلة شاهين، بينما احتفظ محمد باسم العائلة الأصلي، وهو بقلة .

٥- **عائلة عبيد** : يقول السيد حسن الحاج علي ابو سيفين [5] ان هذه العائلة تعود في اصلها الى عائلة ابو سيفين، ولكن لا يعرف كيف ومتى ولماذا تم الانفصال، ويسكن ابناؤها الجهة الجنوبية من البلدة .

ويفيد السيد خالد محمد ابراهيم عبيد أن عائلات بقلة وشاهين وأبو سليمان وعبيد يشكلون عائلة «القبالة» وأنها ترتبط بعائلة ابو سيفين ولكن ليس من السهل بيان هذا الارتباط ولا كيف حدث الانفصال . ولكن بقلة وشاهين أقرب عموماً من ابو سليمان وعبيد، ولكن افاد السيد محمد عبد القادر سليمان ان هذه العائلات الأربع ترتبط بعلاقات واسعة من المصاهرة مما يشير الى القربى فيما بينها دون ان تعرف ما هي هذه العلاقة .

١- مقابلة مع السيد حسن الحاج علي ابو سيفين في ١٥/ ٩/ ١٩٨٩م.

٢- مقابلة مع السيد محمد عبد القادر ابو سليمان في ٢٧/ ٩/ ١٩٨٧م.

٣- مقابلة مع محمود احمد شاهين في ٨ شباط ١٩٨٩م. ويقول ان هذا مثبت في كوشان طابو .

٤- نفس المقابلة ويقول أنه سمعها من مصطفى اسماعيل بقلة .

٥- مقابلة مع حسن الحاج علي ابو سيفين في ١٥/ ٩/ ١٩٨٩م .

٦- عائلة فريحات : من العشائر العربية العريقة تعود في اصلها الى بلاد اليمن، وتنحدر من قبيلة جذام وهي بطن من كهلان القحطانية، واشتهر من زعمائها الصحابي عمرو بن معد يكرب الذي وفد على الرسول محمد ﷺ في السنة التاسعة للهجرة (٩ هـ) وأعلن اسلامه ، وهو الذي وضع الدعاء الذي يردده حجّاج بيت الله الحرام : «لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك . . الخ . » وقد تفرعت هذه القبيلة الى افخاد وبطون كثيرة انتشرت في أراضي بلاد الشام : سوريا ولبنان والاردن وفلسطين، ومن هذه الأفخاد عشائر «الهيب» في الجليل في شمال فلسطين ومنها انحدرت عشائر العرامشة والفريحات .

وهناك العديد من الآراء حول اجداد هذه العشيرة، فبينما يقول اللفتننت فردريك [١] ان عشيرة الفريحات تعود الى الأخوين فريح ومقداد فإن والدي المرحوم عبد الكريم يوسف فريحات أعلمني أن هذه العشيرة تعود الى الأخوة فرح وفريح وفروح الذين قدموا من اليمن ونزلوا بجوار سيل وادي الزرقاء ومن ثَمَّ تفرقوا فذهب فرح الى بصرى الشام، واتجه فروح غرباً الى اليامون في فلسطين من أعمال جنين بينما ذهب فريح الى خربة الوهادنة قرب كفرنجة من اعمال عجلون وذلك منذ اوائل القرن الرابع عشر الميلادي ويبدو ان العشيرة منتشرة في بلاد الشام (سوريا والاردن وفلسطين) ، حيث يوجد فرع للفريحات في بُصرى الشام وفي قارة ويلقبون «الآغا» [٢] ، وكذلك يوجد افخاد كثيرة للفريحات في ضواحي بغداد [٣] في العراق ، وفي الجزائر [٤] وفي نجد [٥] بالحجاز . وهناك روايات تفيد ان عشيرة الفريحات ترتبط بأواصر القربى مع عائلة سويدان ومع عائلة دروزة ومع عائلة صافي في بيت نبالا [٦] . وكان فروح وابناؤه من اوائل من أقاموا في اليامون منذ بدايات القرن الرابع عشر الميلادي بعد عائلتي حمو وابو سيفين ، بينما استوطنت تلك العائلتان المنطقة الغربية من البلده استوطن فروح الحارة الشرقية وامتلك أراضي ما زالت حتى الآن مساحة واسعة منها تسمى «خلايل فروح» ، وعائلة فريحات اكبر عائلات اليامون من حيث عدد الأفراد ومساحات الأرض المتلكة .

١- اللفتنت فردريك بيك، تاريخ شرق الأردن وقبائلها .

٢- السيد ابراهيم مطلق فريحات يقول أنه زار بعضهم في سوريا .

٣- اخبرني الاستاذ احمد جبر فريحات أنه قرأ خبر تأييد عشائر الفريحات في ضواحي بغداد للحكومة .

٤- اثناء دراستي في الجزائر التقيت بطالبة من عائلة فريحات سكان الصحراء الجزائرية وأخبرتني ان اهلها اخبروها بان أصلهم من بلاد المشرق ولهم اقارب في الأردن وفلسطين.

٥- السيد ابراهيم مطلق فريحات اخبرني انه التقى بشخص سعودي اخبره بذلك .

٦- الاستاذ أحمد صافي أعلمني بأن كبار السن من عائلتهم يقولون ذلك.

واشتهر من عائلة الفريحات في اليامون صالح حسن علي فريحات الذي عرف برباطة جأشه وبسالته، وحسن الغزال، ويعقوب النصر ثم اشتهر منهم ابراهيم يوسف حماد فريحات الذي كان رئيساً للجنة الختيارية المكلفة برعاية وادارة شؤون قرية اليامون، وقد كان زعيماً معروفاً ذائع الصيت ليس على مستوى اليامون وجنين فحسب، بل على مستوى فلسطين كلها، وقد كان منزله مقراً للمجاهدين اثناء ثورة سنة ١٩٣٦م.

وكغيرهم من أبناء اليامون اشتغل ابناء الفريحات بالزراعة مما وطّد عندهم روح الانتماء للأرض والوطن، وهذا ما جعلهم يشاركون في جميع الحركات الوطنية ضد الاحتلال الأجنبي ، فقد اشتهر منهم في ثورة عام ١٩٣٦م المجاهد عارف عبد نصر فريحات، وعبد الكريم فريحات، وعبد الرحمن فريحات، وفي حرب عام ١٩٤٨م لم يتوان ابناء الفريحات عن أداء واجبهم الوطني، ودفع ضريبة الدم دفاعاً عن دينهم ووطنهم وعرضهم ضد الغزو الصهيوني ، وكان ممن جرح في تلك المعارك عيد سعادة فريحات، ومحمد فيصل فريحات، ومحمد عبد المجيد فريحات، وعبد القادر عوض فريحات .

وقد تحسنت أحوال أبناء العشيرة الثقافية والاقتصادية، حيث كثر بينهم المتعلمون والمثقفون والجامعيون، فمنهم الطبيب والمهندس والمحامي والضابط والمعلم، واصبحوا يمارسون أعمالاً ووظائف غير الزراعة مما عمل على رفع مستواهم الاقتصادي والعمراني .

وعشيرة الفريحات في اليامون تنقسم الى أربعة افخاد رئيسية هي :

دار نصر، ونصر الله، ورومي وأحمد .

٧- عائلة سمارة : جد هذه العائلة هو كنعان الذي قدم من اليمن ، وأقام في الشعراوية بقضاء طولكرم، ومن هناك ارتحل احد ابنائه الى اليامون ، حيث تفرع عنه أربعة فروع هي :

أ- اولاد عودة : خليل، صادق، ابراهيم .

ب- اولاد ابراهيم : اسعد ، سليم .

جـ- اولاد حمد : سليم ، وسليمان .

د- اولاد عبد العزيز : كامل ، وكمال .

٨- عائلة ابو زيدان : جد هذه العائلة هو جاموس، وهم المعروفون حالياً بدار أبو سباك ، يقيمون في الحارة الوسطى إلي الجنوب من الجامع القديم، وقد جاءوا من اليمن.

٩- عائلة ابو ياسين : جدهم هو دبّور، ويقيمون في نفس حارة دار ابو زيدان .

١٠- عائلة نواهضة [١] : جد هذه العائلة هو ناهض، يعتقد أنه جاء الى اليامون من قرية يعبد أو من بيت ليد، ويقال انهم ينتسبون الى الشيخ عبد القادر الجيلاني ، وهي عائلة معروفة بالنسك والزهد، فقد اشتهر منها الشيخ نصر الذي وهب الولاية الدينية من الله تعالى، وكانت له كرامات كثيرة ، منها حسب الرواة: انه كان يملك خيولاً تذهب للرعي الى القدس دون راعٍ وتعود دون ان تصاب بأذى ، وقد صدف ذات مرّة ان حاول وحش الاعتداء على احدٍ هذه الخيول، فما كان من الشيخ نصر الا ان ضرب ابريق فخار وهو جالس مع مجموعة من الرجال ، فلما سألوه عما عمل، قال: انه ضرب وحشاً يحاول الاعتداء على احدى خيوله فأنقذها منه. وللشيخ نصر مقام في قرية عانين، ولا تعرف قصة هذا المقام، في حين انه مدفون في مقبرة الشيخ نصر في الحارة الشمالية - الغربية من القرية ومن أبنائها صالح مبدا نواهضة الذي يتمتع بقدرٍ وافر من العلم والخلق والوطنية أهّله لنيل ثقة ابناء اليامون حيث تم انتخابه رئيساً للمجلس القروي منذ الستينات وما زال حتى الآن رئيساً للمجلس البلدي .

وقد تفرع من العائلة اربعة افخاد رئيسية هي :

- دار الشيخ نصر، وتشمل : الشيخ احمد، والشيخ محمد، والنقمة.
- دار أبو صلاح .
- دار زين الدين (الغولة).
- دار غادر او أبو شحادة : ولكن يقول المرحوم والدي عبد الكريم ان عائلة غادر تعود الى امرأة اسمها «ام غادر» جاءت الى اليامون وهي حامل بولدها غادر وسكنت قرب ناهض جد دار الشيخ احمد، فقامت بينهما علاقات صداقة وحسن جوار واختلاط حتى اصبح معظم الناس يعتقدون انهما عائلة واحدة .

ثانياً : العائلات التي سكنت اليامون منذ أكثر من مئة وخمسين عاماً هذه العائلات جاءت الى اليامون من مصر واليمن وشرقي الاردن، بعد ان ا ستقرت العائلات السابقة واسست اليامون الحديثة، وامتلكت الأراضي والعقارات، ووجدت من السكان الأوائل كل ترحيب، واقاموا معهم علاقات مصاهرة ، وهي :

١- عائلة سمّودي أو سلمّودي : تعود هذه العائلة في أصلها الى صعيد مصر ، ويعتقد انها من قرية سلمّود ، واليها ينتسبون وجدّهم هو محمد سمودي الذي جاء الى اليامون مع ولده قاسم وحفيديه محمد وهو جدّ دار حامد وخليل جد دار سعيد الحسن[٢] .

١- محمد كامل الحاج نواهضة مقابلة في ٣١-٨-١٩٨٩ .

٢- محمود اسماعيل سمّودي . ومحمد أسعد احمد سمّودي في ١٧/ ٩/ ١٩٨٩م.

٢- عائلة اللبدي : تعود هذه العائلة في نسبها الى خمسة رجال ليسوا اخوة، هاجروا الى اليامون من كفر اللبد، حيث اشتق اسم عائلتهم الجديدة من بلدتهم الأصلية .

ويروى [١] عن هجرتهم الى اليامون أنه أثناء حملة ابراهيم باشا بن محمد علي على فلسطين سنة ١٨٣٠م، فرض الضرائب على الأهالي من أجل رفع ميزانية الجيش، فأعلن الأهالي رفضهم لذلك، وقاموا في وجهه معلنين عدم قدرتهم على دفع هذه الضرائب ، وكان أهالي كفر اللبد ويصيد ممن اعلن العصيان في وجه ابراهيم باشا. واتفق اهل القريتين على التعاون في حال تعرض احداهما للاعتداء من قوات ابراهيم باشا، وجعلوا بينهم علامة ، هي اشعال النيران . وذات يوم رأى أهالي كفر اللبد السنة النيران مشتعلة في يصيد، فظنوا انها تعرضت لهجوم من قوات ابراهيم باشا. فهبوا لنجدتها ، ولكنهم فوجئوا بعدم وجود تلك القوات، وحدث اثناء ذلك ان دخلت تلك القوات قرية كفر للبد، وأخذ افرادها يقتلون وينهبون من يلاقون من الرجال. ولما عاد اهالي كفر اللبد من يصيد وجدوا قوات ابراهيم باشا قد استولت على قريتهم، فما كان منهم الا ان قفلوا هاربين متجهين الى قرية طمّون، وكانوا خمسة رجال، واشتغلوا عمالاً عند عائلة ارشيد ، وذات يوم حدثت مشادّة بينهم وبين احد وجهاء العائلة، فتعاونوا على قتله وفرّو هاربين من طمّون الى قرية اليامون، حيث اقاموا في الجهة الجنوبية- الشرقية من البلدة. واشتغلوا بالنقل على الجمال، مما درّ عليهم اموالاً طائلة، مكنتهم خلال سنوات قليلة من امتلاك مساحات واسعة من أراضي القرية، اشتروها بصفة خاصة من عائلة ابو سليمان ، واصبحوا يعرفون ونسلهم من بعدهم بدار «اللبدي» .

٣- عائلة الحوشية [٢] : احدى عائلات اليامون الرئيسية، تقيم في الجزء الغربي من البلدة، وجاء في اصل التسمية في كتاب أصول القبائل والعشائر العربية ان كلمة حوشية» مشتقة من كلمة «حواشنة» وهي اسم قبيلة عربية من عبس، مواطنها الأول أرض نجد في الجزيرة العربية، وهناك رأي آخر يقول بأن اسم حوشية مشتق من اسم جدّة العائلة واسمها «حوشة» سكنت وزوجها جنوب شرقي الأردن، والقول الأول هو الأرجح .

١- مقابلة مع الدكتور عبد العزيز طاهر اللبدي في ٢٠/ ٨/ ١٩٨٨م.

٢- كتب هذه المعلومات الأستاذ احمد رجا حوشية واثبت مصادره وهي كما كتبها لي :

- كتاب اصول القبائل والعشائر العربية جـ١ . وكل من المرحومين : والده رجا احمد حوشية، ووالدي عبد الكريم فريحات، ونايف عبد الرحمن حوشية، وعبد القادر عبد المجيد حوشية ومحمد صالح حوشية .

والجد الأول المعروف للعائلة هو عبد راشد الذي خرج من الجزيرة العربية مع الجيش الشامي الذي جاء لمحاربة الصليبيين في بيت المقدس بقيادة صلاح الدين الأيوبي، فاستقر في منطقة الخليل بعد انتصار الجيش الاسلامي، وانجب ثلاثة ابناء - وربما اربعة- طوردوا بثأر اتهموا به، فتفرقوا في فلسطين فمنهم من أقام في قطنة القدس وآخرون استقروا في قرية زيتا الشعراوية، وآخرون في يطة الخليل، اما احمد فقد اتجه الى اليامون وتلقب باسم «عفّونة» تنكراً واخفاء لاسمه الحقيقي خوفاً من مطاردة خصومه.

ويقول والدي المرحوم عبد الكريم يوسف فريحات ان اهل الحارة الغربية التي نزل فيها عفّونة أرغموه على مغادرة اليامون فهاجر الى قرية «الجعارة» قضاء عكا. وفي احد الأيام ذهب جماعة من عائلة فريحات الى هذه القرية فاستضافهم عفّونة واحسن استقبالهم فاصطحبوه معهم وأعادوه الى داره في اليامون بعد ان توسطوا لدى اهل الحارة الغربية، وأخذوا منهم عهداً بألاّ يمسوه بسوء.

وترتبط عائلة الحوشية بروابط صداقة ومصاهرة مع معظم عائلات اليامون وخاصة عائلات: حمّو وبشير والفريحات.

وقدمت العائلة العديد من الشهداء دفاعاً عن ثرى فلسطين، ومن أوائل من استشهد من العائلة المجاهد محمد حسين حوشية الملقب «بالحلو» الذي استشهد في معركة اليامون ١٩٣٨م ضد الاحتلال البريطاني وقد دفن في مقبرة الشهداء بمدينة جنين، وكذلك المجاهد عبد الحافظ محمود مصطفى حوشية (أبو كَرْوَش). وللعائلة دور بارز في البذل والعطاء والانتماء لليامون وأهلها، فقد تبرّع المرحوم المختار احمد عبد الخالق حوشية بقطعة ارض لبناء اول مدرسة في البلدة والتي اصبحت الآن مدرسة ثانوية للبنات، ثم تبرع المحسن عزّام حوشية بقطعة أرض أقيم عليها رابع مسجد من مساجد اليامون.

٤- عائلة زايد [1]: ترجع هذه العائلة في نسبها الى عشيرة الزيادين التي قدمت الى فلسطين مع الملك الظاهر بيبرس، لتحارب في صفوف قواته في معركة عين جالوت سنة ١٢٦٠م، وبعد المعركة، آثر افراد هذه العشيرة البقاء في فلسطين، وكانوا يحبون الزراعة، ويعشقون الأرض.

وقد اتجه ابناء هذه العائلة الى ثلاثة اتجاهات، فبعضهم اتجه الى منطقة جنين وأقاموا في الحارة الشرقية من اليامون، واتجه بعضهم الى طولكرم، والبعض الآخر اتجه الى منطقة رام الله، حيث اقاموا في بيت اكسا، وما زال ابناء عائلة زايد يقطنون هذه البلدان الثلاث: (اليامون، وطولكرم، وبيت اكسا).

١- عن السيد مصطفى سعيد موسى زايد.

الشيخ خليل صالح غنمة مواليد ١٣٠٣ هـ، ومنه أخذت المعلومات عن عائلة غنمة، والقصيدة المذكورة في فصل التعليم في اليامون

ويعتقد ان من قدم الى اليامون هما الأخوين محمد زايد وصلاح زايد [1]، وتفرع منهما ثلاثة افخاد، هي : محمود ارشيد، عبد الرحمن وعبد الله.

٥- عائلة ابو حسن : إحدى عائلات اليامون الرئيسية تعود في اصلها الى عشيرة الخزاعلة من بني حسن القاطنة في منطقة المنشية ورحابا في محافظة المفرق ولظروف غير معروفة رحل جدّهم محمد خليل الملقب «أبو حسن» الى الضفة الغربية منذ أكثر من مائتي عام واستقر في اليامون في الحارة الشرقية، ويقول السيد سليم جمال أبو حسن [2] أن محمد خليل عمل راعياً عند عائلة سمارة وتزوّج من امرأة منهم اسمها آمنة سمارة أنجبت له ستة أبناء هم : أسعد (زغلول)، ومسعد، وسعادة، وسعيد، واسعيد وسعد هم جدود ستة افخاد من العائلة، ثم تزوج امرأة ثانية فأنجبت له ثلاثة ابناء هم : درّاج (الايراني) وبكر (الحاج يونس) وعمرو. وتخرج من ابنائها في مختلف مجالات العلم، فمنهم المعلمين، والأطباء وائمة المساجد، وكذلك من ابنائها لمعروفين السيد أنور سليم سعادة الزّجال الشعبي ذو الصوت الجميل والنفس الطويل في ارتجال الزجل، ويشارك في احياء الكثير من حفلات الأعراس في مدينة الرصيفة، ويمتاز بأشعاره الوطنية والتي تتغنى باليامون وثراها وزيتونها والحنين الى العودة اليها، وايضاً الدكتور رائف فارس من اوائل الأطباء من ابناء اليامون وشقيقه راتب الذي كان أول معلم من اليامون مع السيد امين محمد ابو علي الهيجاوي بعد إكمالهما دراسة الصف السابع، وكذلك المختار سليم الحاج احمد مسعد ابو حسن.

٦- عائلة غنمة : يقول الشيخ خليل صالح غنمة [3] أن سبب تسمية هذه العائلة بهذا الاسم، هو انه كان لجدّهم أغنام كثيرة، وكان يقيم (يعزّب) في منطقة الهيش، خارج القرية، وهناك ولدت زوجته طفلاً، ظل مدة اسبوع دون تسمية. وذهب والده لتسجيله في سجلات المواليد عند المختار الشيخ الحاج عيسى حمّو، فسألته زوجته عن اسم المولود، فأجابتها امه، انه حتى الآن لم يطلق عليه اسم. فقالت لها : حتى الآن محتارين في تسميته وعندكم خير كثير وشلايا من الغنم! سمّوه : غنمة، وبالفعل تم تسجيله باسم غنمة. ويتابع الشيخ خليل كلامه بقوله : وجاءت نسوة عند ام غنمة لجرش القمح، فرأين غنمة، وسمعن صوصاً صغيراً يصيح، فقلن: والله مثل ما قالها المثل : الصوص الفصيح من البيضة بصيح! وهذا غنمة، والله من صغره يبدو أنه فصيح. وكان أبناء غنمة يقيمون في الجهة الجنوبية-الشرقية من القرية قرب دار

١- عن والدي المرحوم عبد الكريم فريحات.

٢- مقابلة مع السيد جمال ابو حسن في منزله.

٣- لقاء مسجل من الشيخ خليل صالح غنمة.

ابراهيم يوسف حمّاد فريحات، ولكن فيما بعد رحلوا الى الحارة الغربية للاقتراب من صهرهم أحمد بشير، واقاموا في المنطقة الواقعة بين دار بشير ودار ابو سيفين.

٧- عائلة بشير : لا يعرف من أين ومتى جاءت الى اليامون. ويقيم ابناؤها في الحارة الغربية من اليامون. وهم على علاقة مصاهرة مع دار غنمة ودار ابو سليمان. واشتهر منها المرحوم يونس بشير الذي كانت له نشاطات سياسية ونقابية في حيفا ايام الانتداب الانجليزي، وابنه عبد الله هو أول طبيب من اليامون وهو حالياً رئيس جمعية الجراحين الأردنية. ومنها كذلك فخد ياسين الذي منه جميل وتوفيق، وكذلك عبد الرحمن (ابو يحي)، ومرزوق.

٨- عائلة سمّار [1] : أصل هذه العائلة من اليمن، رحل جدهم الأول من اليمن الى طمرة وسمحاتي من قضاء عكا، وجدّهم يدعى حسن سمّار، ورحل من طمرة الى سيلة الحارثية، وأقام فيها فترة قصيرة من سيلة الحارثية الى اليامون. حيث أقام فيها هو ونسله من بعده، ويقيمون في الجهة الشمالية من القرية. واشتهر من العائلة الشيخ عارف سمّار الذي كان صاحب طريقة صوفية، ومن أولياء الله الصالحين، كما عرف عنه أنه شارك في ثورة ١٩٣٦ ومعركة اليامون السابقة الذكر.

٩- عائلة أبو الهيجاء [2] : جدهم يوسف ابو الهيجاء الذي ينحدر نسبة الى محمد ابو الهيجاء من قبيلة تغلب من ديار بكر ومنها ارتحل الى الموصل في العراق، وكان شاعراً لصلاح الدين الأيوبي، ورافقه في حملته على فلسطين، وعلى اثر معركة حطين سنة ٥٨٣هـ / ١١٨٧م، اقتطعه صلاح الدين قريتي الحدثة وسيرين، فكان له فيها نسل كثير. وبعد احتلال مدينة عكا اقتطعه قرية كوكب الهوى والرويّس، وبعد احتلال قرية عتليت اقتطعه عين حوض. واصيب في قرية كفر عانة قرب اللد والرملة.

وكان من نسله في الحدثة الشيخ يوسف الذي هاجر الى عرّابة قضاء جنين على خلاف مع أخوته، وهناك تزوج من عائلة عارضة، فأنجبت له ولدين، هما : سعيّد وخضر. ثم رحل من عرّابة الى كفرقود، ومنها الى اليامون، وهناك تزوج سعيّد امرأة من عائلة علي كاش، لم تنجب له اطفالاً، فتزوج من عائلة جرادات فأنجبت له سبعة أولاد هم : الخطيب، الشيخ حامد، عبد الهادي، يعقوب، عبد الغني، عبد الرحمن، وأبو علي.

أما خضر فتفرع عنه فرعان هما : طحبوش ويحيى.

١- ابراهيم عارف سمّار، مقابلة في ١٢/ ٧/ ١٩٨٧م.

٢- محمود خليل موسى ابو الهيجاء. وعبد الكريم يوسف فريحات.

ونظراً للكرامات التي لجدهم أبو الهيجا حيث أنه من أولياء الله الصالحين فإنهم يقومون بمعالجة آلام المفاصل والأطراف بضرب الطرف المصاب بأيديهم بطريقة متناسقة من أعلى لأسفل، ولهذا يطلق عليهم «ضاربين للرّيح».

١٠- عائلة العباهرة : هذه العائلة تنتسب الى شخصين اثنين [١] قدم احدهما من عبهرة اليمن، فكان يدعى العبهري وحل أول الأمر في قرية سوم شناك ناحية اربد في شمال الضفة الشرقية من الأردن، ثم انتقل أحد احفاده من سوم الى اليامون، مع شخص آخر يدعى هدبود، قدم من بئر السبع، وأقام الاثنان معاً في الحارة الشمالية الغربية من اليامون، وكوّنا معاً عائلة واحدة تعرف بالعباهرة. ومن اليامون ارتحل ثلاثة اخوة هم عبد الله والحاج، وداود الى قرية صبّارين، تفرع عنهم عائلة كبيرة في صبارين تحمل نفس الاسم، وبعد كارثة ١٩٤٨م واغتصاب فلسطين عاد قسم كبير منهم الى اليامون، ثم الى الرصيفة.

١١- عائلة الخمايسة [٢] : تعود في اصولها الى الجزيرة العربية من بني عطية القبيلة المعروفة حتى يومنا هذا في منطقة تبوك، وتعرف باسم العطاونة والمعازة نسبة الى جدها معز بن اسد بن ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان، وأخوة عنز بن اسد مؤسس قبيلة عنزة. وينسبهم البعض الى بني عطية بن زيد بن قيس بن عامر بن مرّة بن مالك من القحطانية ولكن ليس هناك ما يؤيد صحة هذا النسب.

ويقال أن أحد ابناء عشيرة الخمايسة وهو اخميس كان له أربعة ابناء : عقيل وعزام واثنان آخران لا يعرف اسمها هاجروا قبل حوالي ٢٥٠ سنة الى فلسطين والأردن. واستقر احدهم في منطقة الخليل بينما استقر عقيل في منطقة الطفيلة ومنهم تفرع خمايسة الحسا والزهراء بالكرك، واستقر الأخ الثالث في منطقة اربد في قرى بيت يافا والسموع، واتجه الأخ الرابع وهو عزّام الى قرية اليامون حيث تفرع عنه ثلاثة أفخاد هي : أبو حمدي، خلف، وفرّاج، وهاجر من اليامون شخص يدعى حمدان الى قرية الخراج قضاء اربد حيث تفرع عنه عائلة الخمايسة هناك. وكذلك يوجد فروع لعائلة الخمايسة في قرى كفر كنّا وسخنين شمال فلسطين قرب الناصرة.

وقد ساهم ابناء عائلة الخمايسة في اليامون في بنائها وعمرانها فاستصلحوا الأراضي وعملوا في الزراعة وتربية الماشية، وكان لهم أدوار بارزة في تاريخ اليامون النضالي ضد

١- المرحوم والدي عبد الكريم يوسف فريحات.

٢- عن السيد عماد شحادة سليم خمايسة.

الاحتلال الأجنبي، فقد حلّ الشيخ عطية قائد معركة اليامون المشهورة ١٩٣٨م، رفاقه عند عميد عائلة الخمايسة الحاج محمد ابراهيم خمايسة الذي قامت السلطات البريطانية بنسف منزله لدوره النضالي ضد الاحتلال الانجليزي، واستشهد من ابناء العائلة في ثورة سنة ١٩٣٦ الشهيد مروح ابراهيم الخمايسة، وكذلك شارك ابناء العشيرة في مقاومة الاحتلال الصهيوني وخاصة اثناء الانتفاضة المباركة التي انفجرت عام ١٩٨٨م فقدموا الشهداء والجرحى والأسرى، وممن استشهد منهم اثناء الانتفاضة السيد خليل نادر خمايسة ونائل فخري خمايسة.

ثانياً : العائلات التي سكنت اليامون منذ عهد قريب، فاستقرت فيها، واصبحت تنتمي اليها، وهي :

١- عائلة جرادات [١] : يرجع اصلها إلى قبائل عمرو وجهينة التي كانت تسكن المنطقة حول المدينة المنورة. هاجر بعض ابنائها الى الأردن وأقاموا في جبل الموجب في الكرك، ومن هناك حدثت عدة هجرات، اتجه بعضها الى سوريا، وبعضها الى منطقة اربد في شمال الأردن، وبعضها قطع نهر الأردن باتجاه فلسطين، فنزلوا في مناطق : الخليل وغزة وطولكرم، وسيلة الحارثية في قضاء جنين [٢]، ومن سيلة الحارثية ارتحل بعض ابناء العائلة حوالي سنة ١٨٥٠م الى اليامون، واصبحوا يشكلون عائلة كبيرة. اشتهر منها لشيخ فياض سليمان جرادات الذي كان عضواً في مجلس العشائر الأردني.

٢- عائلة الثمينات : ينسبون الى جدهم الحاج الثميني الذي يعود نسبة الى عشيرة «القضاة» في شرقي الأردن. رحل جدهم الأول عطية من المعرّة الى دمشق وتوفي فيها، ومن دمشق رحل بعض احفاده الى الكرك في شرقي الأردن، ومنها ارتحل بعضهم الى منطقة عجلون واستوطنوا عين جنّة، حيث أصبحوا هناك حلفاء عشيرة الفريحات في السراء والضراء. ومن عجلون ارتحل الحاج الثميني [٣] الى قرية برقين قضاء جنين، وقبل حوالي مئة عام وبسبب خلافات عائلية ارتحل الأخوان محمد

١- مقابلة مع السيد يوسف فياض جرادات في ١١/٨/١٩٨٦م.

٢- مصطفى الدباغ، بلادنا فلسطين، جـ١ق١، ص ٢٧٦، وهم ابناء عمومة عشيرة العبابنة التي جدها عون شقيق محمد جد الجرادات الذي رحل الى قرية عبين قضاء عجلون من نسلة ارتحل الى برقين ثم اليامون.

٣- السيد سليمان القضاة (عجلون) في ٢٠/٩/١٩٨٨.

ومحمود داود وابن عمهما علي صادق الى اليامون وأقاموا في الحارة الشرقية منها ثم أقاموا علاقات مصاهرة مع الفريحات، فأصبحت بينهم علاقات مودّة وقربى .

٣- عائلة زين : فخد من عائلة الحمران [١] اصلها من اليمن، ارتحلت الى شرقي الأردن، حيث تقيم في منطقة الطفيلة، ومن هناك ارتحل بعض منها الى قرية عرّابة في قضاء جنين ثم ارتحل بعض رجالها إلى قرية كفرقود، حيث ما زالوا يعرفون هناك بالحمران، وارتحل زين من كفرقود الى اليامون منذ حوالي مئة سنة، وأقام في وسط البلدة بجانب جامع القرية .

٤- عائلة مرعي : جاء جد هذه العائلة من مدينة نابلس منذ وقت ليس بالبعيد، واقام في الحارة الوسطى ، وكان ابناؤها من اوائل المتعلمين، واشتهر منها الشيخ مصطفى مؤذن القرية، وكان يقوم بتدريس الأولاد في الكتّاب .

٥- آل شعبان : وهما فخدان جاءا من قرية الجلمة ، وهما دار الحاج نمر، ودار ابو الشكي . وعددهما قليل .

٦- عائلة ابو حمّاد : جاءوا الى اليامون من عرّابة [٢] منذ وقت ليس بالبعيد واقاموا في الحارة الجنوبية - الوسطى .

٧- عائلة ابو عبيد : وهي غير عائلة عبيد، وقد جاءوا من عرابة ايضاً، وأقاموا في الحارة الغربية، ومنهم محمد سعيد العربان، وساري وسامي عبد الكريم .

٨- عائلة الزعبي : أصلها من طيبة الزعبية في بيسان قدم أبناؤها الى اليامون منذ زمن قريب ، واقاموا في الحارة الغربية، في منطقة عائلة الحوشية، ويشتركون مع عائلة الزعبي في شمال الأردن في الأصل والنسب، وبينهم علاقات مودة وتواصل .

٩- عائلة ابو حمدية : أصلها من منطقة الخليل من عائلة غيث، ارتحل جدّهم حسين أبو حمدية غيث من الخليل الى اليامون، وقد ولد له ولدان هما عبيد الله الذي توفي دون ان يترك وراءه أولاد ، والثاني هو عبد الله الذي انحدر منه ابناء العائلة الحاليون، ويقطنون الحارة القبلية جيران عائلة اللبدي، ومنهم الشيخ ابراهيم داود ابو حمدية عضو الزاوية الرفاعية .

١- مقابلة مع الحاج عبد الله الحمران في ٢٤/ ٨/ ١٩٨٩م.

٢- حيث قال الشيخ صالح غنمة أن والدته هي أمينة عيسى أبو حماد وهي عبيدية من عرّابة .

المختار واللجنة

كان النظام الأداري في اليامون إبان العهد العثماني وحتى الآن مثلما هو في بقية القرى الفلسطينية يقوم على المختار ولجنة القرية .

فالمختار هو أصغر موظف إداري في اللواء كان يتم تعيينه عن طريق الانتخاب الجزئي ، بحيث يقدم عريضة موقعة من عدد كاف من أبناء حمولته أو أبناء الحي الذي يسكن فيه إلى القائمقام الذي كان يستدعي بعض الموقعين ويستجوبهم حول تواقيعهم وآرائهم في مقدم العريضة، وبعد أن يقتنع بصحتها كان يصدر كتاب (تعيين) المختار ومعه عضوان يطلق عليهما أعضاء لجنة مختار وهما بمثابة مساعدين للمختار وكان يشترط ألا يقل عمر المختار عن ٣٠ سنة، ورغم أن مدة ممارسته لصلاحياته كانت محددة بأربع سنوات تعاد بعدها عملية الانتخاب، فإنه في الواقع كان المختار يبقى في منصبه ما لم يرتكب جرماً يوجب عزله، أو يقدم عدد كاف من أهل الحي او الحمولة عريضة يطالبون فيها بعزله، وقد كانت عملية الانتخاب او بالأحرى الاختيار لا تتم حسب الكفاءة والمؤهلات العلمية والثقافية وإنما تتم على أساس الزعامة والغنى، وتنتقل بالوراثة من الآباء إلى الابناء تبعا للقواعد القديمة، وغالباً ما كان المخاتير لا يجيدون القراءة والكتابة .

وكان المفروض أن يتقاضى المختار أجره من الاهالي إما نقدا أو بتوزيع مقدار مناسب من الحبوب في موسم البيدر، ولم يكن يسمح بعدم دفع الأجر من أحد إلا إذا وافق المختار على ذلك، ولكن دفع الاجور بهذه الكيفية لم يستمر، بل أصبح المخاتير يتقاضون رواتبهم بطرق أخرى وذلك عن طريق أخذ مبلغ معيّن من المال مقابل توقيعه على أية شهادة أو مضبطة يحتاج إليها احد الأهالي، سواء تعريف بالشخص، أو شهادة وفاة أو تبليغ ولادة أو شهادة إقامة أو غير ذلك .

وقد تشكلت في اليامون لجنة من المخاتير وبعض الوجهاء للإشراف على شؤون القرية وإدارة أمورها . ويمكن ذكر اختصاصات المختار ولجنة القرية كما يلي :

١- الأمن الداخلي : فقد انيطت بالمخاتير مهمة المحافظة على الأمن الداخلي للقرية، بحيث كان المختار مسؤولاً عما يقع من جرائم وجنايات في نطاق حدود دائرته، وكان ملزماً بتسليم الاشقياء واللصوص والاشخاص المجهولي الهوية أو الإخبار عنهم إلى أقرب مخفر للشرطة، أو مركز للفرسان (الدرك الوطني) قبل ان يغادروا هؤلاء تلك المنطقة، وكل مختار يخالف هذه التعليمات يعرض نفسه للعقوبة .

٢- القيام بوظائف البلدية في المجالات المختلفة من توفير الخدمات والمرافق العامة للسكان.

٣- نشر اعلانات وأوامر ونظامات الدولة في القرية.

٤- مساعدة رجال الحكومة في تحصيل أموال الدولة المفروضة على سكان القرية سواء كانت ضريبة الراس (شخصية) أو رسوم العقارات او غيرها.

٥- تبليغ عن حالات الولادة والوفيات لدائرة الصحة في القضاء.

٦- التبليغ عن تذاكر الإحضار والحجز للمطلوبين.

٧- اعطاء علم وخبر والتعريف بشخصية وإقامة الأشخاص الذين يريدون الحصول على جوازات سفر.

وكان يعتبر موظفاً رسمياً ولذلك فقد منع من التوقيع على اللوائح والعرائض السياسية، او الاشتغال بالسياسة، او الاشتراك في أي نشاط لا تشرف عليه الدولة، وإذا حاد عن ذلك فإنه يعرض نفسه لطائلة القانون.

ومن اقدم المخاتير الذين نعرفهم :

- ابراهيم محمد شحادة نواهضة مختار الحارة الوسطى والشمالية.
- حسن حامد سمودي مختار الحارة الشرقية والقبلية.
- عبد الله حسن سمودي جاء بعد وفاة حسن حامد سمّودي.
- عبد الخالق الحاج احمد حوشية مختار الحارة الغربية

ومنذ الخمسينات عرف من المخاتير :

- سليم الحاج احمد ابو حسن مختار الحارة الشرقية.
- احمد عبد الوهاب صالح سمودي مختار عائلة سمّودي
- سليم سمارة عضو لجنة مختار
- ابراهيم الحاج محمد ابو زينب مختار الحارة الشمالية - الغربية
- ابراهيم ابو شحادة نواهضة.

أما أول لجنة لليامون وصلت اسماؤها الينا وكانت تتكون من مخاتير ووجهاء اليامون، فكانت مؤلفة على النحو التالي :

- ابراهيم يوسف حماد فريحات / رئيساً.
- يونس الحاج اسعيد ابو حسن / عضواً
- عبد الخالق الحاج احمد حوشية / عضواً
- ابراهيم محمد شحادة نواهضة / عضواً
- حسن صالح سمودي / عضواً

وآخر لجنة لليامون نذكر اسماءها كانت تتألف من :

- ابراهيم محمد ابو شحادة نواهضة / رئيساً.
- يوسف ابراهيم عبيد / أميناً للسر
- احمد الحاج اسعد ابو الهيجاء / عضواً
- عبد القادر عبد الكريم فريحات / عضواً
- محمد محمود عبد زايد / عضوا
- عبد الكريم سمار / عضواً
- محمد صالح ابو عفيفي حوشية / عضواً
- عبد الله حسن حامد سمودي / عضواً
- حردان سليمان عباهري / عضواً

ويؤكد الشيوخ الذين عاصروا اللجنة الاولى برئاسة السيد ابراهيم يوسف حماد فريحات أنها تولت ادارة شؤون القرية بكل كفاءة وجدارة، فقد تمكنت من ضبط الامور والسيطرة على الأوضاع، بحيث أنه لم تكن تحدث أية قضية إلا عملت على حلها، أو خلاف او نزاع إلا عملت على فضّه، كما أنها عملت كثيراً من المشاريع الخيرية للقرية، فعندما تقرر انشاء مدرسة اليامون ووقع الاختيار على الموقع الحالي لمدرسة الاولاد القديمة تبرع السيد ابراهيم يوسف بقطعة أرض من ملكه الخاص واستبدلها بقطعة الأرض التي أقيمت عليها المدرسة، وكذلك تبرع بقطعة أرض أخرى تم فيها حفر بئر ارتوازي يعرف باسم (العين القريبة) يتزود منها معظم أهالي اليامون بالمياه الصالحة للشرب. ومنذ الستينات أصبح يشرف على اليامون مجلس قروي تألف في البداية من المخاتير، إلا أنه أصبح يتألف فيما بعد من سبعة أعضاء يتم انتخابهم بالطريقة الديمقراطية ويضم في عضويته جميع المخاتير باعتبارهم اعضاء طبيعيين.

والمجلس الحالي برئاسة السيد صالح مبدى نواهضة ❖ . وقد قام هذا المجلس بأعمال مهمة ، ونفذ مشاريع كثيرة لصالح أهالي القرية منها انشاء مشروع كهرباء بشكبة ومحطة ضخمة ، وتوسيع وتعبيد شوارع القرية الداخلية بطول ١١ كم بما فيها الشارع الرئيسي ، وبناء مدرسة ثانوية للاولاد في البرانس على بعد ٢ كم من البلدة ، وتطوير بناء العيادة الصحية بإضافة ٣ غرف وصالة .

ومن مشاريعه المستقبلية زيادة عدد غرف التدريس في مدارس البنات ، وتنفيذ مشروع مياه بهدف تزويد المواطنين بالمياه الصالحة للشرب[1] .

❖- تم إعداد هذا الكتاب سنة ١٩٩٠ . فالمعلومات التي يحتويها حتى تلك السنة ، أما الآن فإن رئيس مجلس اليامون هو السيد نايف محمد خمايسة .

١- لقد تم انجاز تمديد شبكة تمديدات المياه وبناء خزان مياه ضخم جداً في منطقة الباطن لتزويد اليامون والقرى المجاورة من مياه بئر شجرة السعادة قرب مدينة جنين ومن المتوقع أن يبدأ الضخ خلال شهر آب القادم ٢٠٠٠ ، وكذلك تم انجاز التمديدات الكهربائية لربط البلدة مع كهرباء جنين وشركة الكهرباء القطرية ، ومن المنتظر أن يبدأ التزود بالكهرباء خلال الاسابيع القادمة .

العمارة الشعبية في اليامون

عرفت اليامون ثلاثة نماذج من البناء تدل على التطور العمراني - الحضاري للقرية ، حيث ظهرت هذه النماذج في فترات متعاقبة . وأقدم هذه النماذج البناء بالطين ثم تلاه البناء بالدبش والحجارة ، وأخيراً البناء بالحجر النظيف المصقول والممشوق .

أولاً : البناء بالطين :

معظم أو جل المنازل القديمة والدور والأسوار المحيطة بالقرية كانت تبنى من الطين ، ويطلق على هذا النوع من البناء اسم (البيت) إذا كان واسعاً ، واسم (الخشّة) أي الكوخ إن كان ضيقاً ، وهناك أيضاً الطابون الذي عادة يكون صغير المساحة منخفض السقف .

ويراعى في هذا النوع من المنازل أن يحتوي في واجهته الأمامية على طاقات (نوافذ) تعرف بالثريا ، وشبابيك (سر) ، وهي أوسع وأقل عدداً ومتوسطة الارتفاع ، ولم يكن لينسى البناء عمل (طواقي) اعشاش خاصة بالحمام ، حيث لا يخلو بيت ريفي من الحمام الداجن .
ولبناء الجدران كان يخلط (يجبل) التراب بالقش والتبن والماء لعمل اللّبن الذي تبنى منه الجدران ، ثم بعد ذلك يغطى بطبقة من الطين النقي ويملس حتى يتخذ شكلاً منتظماً املساً ، ويطرش بعد ذلك بالطراشة البيضاء المصنوعة من الجير (الكلس ، أو الشّيد) المذاب في الماء ، ثم يضرب الحائط بهذا السائل الأبيض حتى يصبح لونه ابيض متجانساً وكان السقف يبنى من الخشب والطين أيضاً ، حيث لم يكن الاسمنت قد استعمل ، ويتكون السقف من خمس طبقات هي :

١- طبقة الأعمدة الخشبية : وهي عبارة عن أغصان وجذوع الشجر المستقيمة والطويلة ، وكان يساعد على استعمالها القناطر في البيت التي كانت بمثابة جسور حمل ، فكانت الأغصان تصف بجانب بعضها البعض حتى لا يبقى أي فراغ .

٢- طبقة أعواد القصّيب : وغالباً ما كان يوضع فوق طبقة الأغصان طبقة من القصيب في محاولة لإغلاق الفتحات الصغيرة الموجودة بين هذه الأغصان .

٣- أعواد الشجر والقش الطويل والحشائش : وكانت هذه الطبقة تغطي طبقة القصّيب والأغصان لمنع نفاذ التراب من الفجوات بين القصيب والأغصان ، وكذلك محاولة لمنع نفاذ الماء .

٤- طبقة الطين المجبول بالقش والتبن: وهي المعتمد عليها للوقاية من تسرب الماء والأجسام الغريبة، وهي من الطين المجبول بالتبن وكانت تفرش على حجم السقف كله، وتقوم النساء بهندستها وتهذيبها، وهي التي تقي من شر مياه الأمطار، والإنهيار ونفاذ الأجسام الصغيرة، وكان يراعى ان يكون السقف ذا انحدار خفيف إلى جهة ساحة الدار ليسهل جريان الماء من عليها باتجاه البئر.

٥- التراب الجاف: وكانت تفرش فوق الطبقة الطينية طبقة من التراب الجاف ثم ترص بمدحلة حجرية بسيطة حتى يتم تماسكها جيدا وبذا يصبح السقف سميكاً، قوياً، مانعا، واقياً، ولا سيما إن وجدت القناطر أسفله.

أما الاساس: فكان يتم حفر خنادق يختلف عمقها حسب نوعية التربة، ثم تملأ بالحجارة والحصى والطين والكلس لتشكل جداراً متماسكاً حتى يصل إلى مستوى سطح الأرض، ويكون سمكه من نصف متر إلى متر واحد، ثم تبنى فوقه الجدران، وعادة يتكون الجدار من:

١- الجدار الخارجي ويبنى من أحجار كلسية بيضاء منحوتة.

٢- الجدار الداخلي وهو من الحجارة غير المنحوتة، ويطلى من الداخل بالطين ثم يدهن بالطراشة.

٣- مسافة بين هذين الجدارين تتراوح ما بين ٦٠-٧٠سم عرضاً، تملأ بالحجارة والحصى والطين. فيكون بذلك جداراً سميكاً قوياً يبعث على البرودة في الصيف، ويبعث الدفء في شتاء.

ثانياً: البناء بالدبش والحجارة العادية:

تطور البناء وأصبح الناس يستعملون لبناء منازلهم الحجارة والدبش دون أن يدخلوا عليها أي تغيير من نحت أو صقل، وكان عرض الجدار لا يقل عن ٧٠سم، وكان السقف أيضاً من الطين كما في الطراز الأول.

ومن الملاحظ على هذا البناء أن الجدران كانت تشتمل على خزائن تدعى (الحامل) أو (المطوى) كانت توضع فيه الفراش بعد طيّها، وكان يعمل فيه صف من الرفوف على ارتفاعات مختلفة يشتمل على مساحات صغيرة تدعى (الثريا) تستعمل لوضع أدوات واواني المطبخ ولا سيّما القشاني أي الصحون وفي بعضها كان لا بد من استعمال السّلم لأخذ أو وضع صحن في مكانه. كما كان يعمل فيه مساحة معقولة ومرتفعة بين أحد الجدران وإحدى القناطر تدعى (الراوية) أو السّدة يخزن فيها جميع حاجات العائلة من مؤونة وأدوات منزلية،

وأواني زيت الزيتون وغيرها من الأدوات، وكذلك كان يوضع بين القنطرتين مخزن من الطين للقمح وآخر للطحين يدعى (الخابية). وكان يستعمل الجير الأبيض للطراشة، بينما كان يطرش على ارتفاع متر ونصف باللون الازرق السماوي، وذلك بإذابة مادة زرقاء تدعى (النيلة) في ماء الجير.

ثالثاً: البناء بالحجر النظيف المصقول:

وهو أحدث أنواع البناء، وهو يميز ظهور مرحلة عمرانية متطورة في اليامون، وقد كانت المنازل المبنية بالحجارة المصقولة والممشوقة معدودة ومحدودة جداً، أما الآن فقد كثر عددها. والحجر قد يكون من النوع النارّي أو (صِن) وهو أرفع وأجود أنواع الحجارة وأكثرها تكلفة، أو من النوع العادي. وقبل بناء الحجارة لا بد من تشذيبها وتهذيبها حتى تصبح ذات شكل منتظم وزوايا قائمة وأضلاع مستقيمة لتتناسب مع بعضها البعض، ويمكن رصها فوق بضعها البعض، وكانت هذه العملية تتم بطريقة يدوية كان البناء يظهر خلالها مهارة فائقة وصبراً طويلاً، وأول [1] المشتغلين بالبناء بالحجر وقطعه ونشره أي هندسته وتشذيبه على نحو ما ذكر السيد الشامي حسين غنمة ومن بعده ابناء يونس سعيد ثم محمود أبو قرنة نواهضة وعبد القادر مصطفى زايد وكامل حسن سمّار وابنه نايف وصادق وحسن خمايسة ثم عيد سعادة فريحات وأحمد نجيب سمودي وخالد عبد المالك سمّودي وصالح محمود سمودي، وكانت الحجارة تبنى في مداميك فوق بعضها البعض بواسطة الطين المخلوط بالشيد، ثم فيما بعد بواسطة الأسمنت، وكان السقف إما أن يكون من الخشب والطين او من الأسمنت المسلح كما هو الحال الآن. وتمتاز البيوت (المنازل) القديمة باتساعها الكبير وارتفاعها الشاهق تتسع لجميع لوازم العائلة، فكان البيت يقسم إلى أقسام متعددة يوضع في كل منها بعض من اللوازم. وكانت الدار المحتوية على عدة بيوت وخشاش تحاط بسور دائري يدعى (الحيط) يبنى من الحجارة والطين بارتفاع كبير حتى يحول دون كشف داخل الدار ورؤية المارّة ما بداخلها، ويمنع دخولها بسهولة حماية لها من الاعتداء والسطو، وكان يوجد في أحدى واجهاته الأمامية المقابلة للشارع الرئيسي الباب الرئيسي للدار الذي عادة يكون واسعاً ومرتفعاً، ومن ثم يفتح على ساحة الدار الواسعة التي تتوسط بقية بيوت الدار.

١- خالد محمد ابراهيم عبيد أثناء مراجعته للكتاب.

أنواع السقف :

هناك أنواع متعددة من السقوف هي :

١- **السقف العقد** : بعد بناء الجدار وبعد ارتفاع متر إلى مترين يصبح بشكل قوس (عقد) ويلتقي بقوس الركن المقابل له ، وبذلك يتكون البيت من عقدين كبيرين يلتقيان في النقطة الوسطى من السقف ، وتبنى هذه الأقواس (العقود) من الحجر الكلسي الطري الذي يوضع جانب بعضه البعض بشكل متطاول ، ويثبت فوق هيكل خشبي وضع مسبقاً ليمنع سقوط السقف ، ثم تملأ اركان البيت بين الجدران والعقود بالحجارة والحصى حتى تصل إلى مستوى الجدران الخارجية ، ثم تغطى بالطين فيصبح شكل السقف على هيئة قبّة .

٢- **السقف المسطح المستوي** : وهو يتكون من أنواع خشبية غير متلاصقة تماماً ، يترك بينها مسافات صغيرة ثم يوضع فوقها طبقة من الأعشاب والأخشاب والأغصان الصغيرة بشكل عمودي على الأولى ، ثم يغطى الجميع بالخرق البالية من القماش والخيش ، ثم يغطى بطبقة تراب ناشف بسمك ٢٠سم ، ثم فوقها طبقة طينية مخلوطة بالكلس والتبن ، ويراعى ان يكون السقف مائلاً قليلاً باتجاه ساحة الدار حتى يسهل تصريف المياه من على سطح المنازل بواسطة المزراب .

ومن أشهر الدور الكبيرة التي تمثل نموذجاً صادقاً لجميع أنواع البناء (الطين ، والدبش ، الحجارة المصقولة) ، أنواع السقف (الخشب أو الأسمنت) وأنواع المنازل(البيوت الواسعة ، والخشاش ، والطابون) والساحة الواسعة ، والحيط الدائري ، والباب المرتفع والواسع ، هي دار الوالد المرحوم عبد الكريم يوسف فريحات ، فقد كانت تشتمل على بيت جداره المطل على الشارع الرئيسي مبني من الحجارة النارية المصقولة ، وسقفه من الخشب والطين وليس به قناطر ، وكان أحياناً يستعمل للسكنى وأحياناً دكانا ، وأحياناً مأوى للدواب ، يليه جهة الغرب خشة متوسطة السّعة والارتفاع هي (الطابون) كان معظم الجيران يخبزون فيه ، ويلي الطابون للخلف جهة الغرب خشة اوسع منه وأكثر ارتفاعاً وسقفها من الخشب والطين ، وكانت تستعمل أحياناً لخزن التبن كمؤونة للدواب ، وأحياناً للسكن ، وأحياناً مخزناً للأدوات والأغراض الفائضة ، يليها غرباً أيضاً (قصة) عبارة عن مساحة مقدارها ٥ , ٣×٣ متر ، تستعمل للسهر والنوم في الصيف ، ثم يليها للغرب أيضاً بيت رئيسي مساحتة ٦×٤ أمتار مبني من الحجارة والطين ، وسقفه من الخشب والطين ، ويحتوي على قنطرتين تدعمان السقف ، ويشتمل على راوية وخابية وحامل ورف وثريا واعشاش حمام .

وهو يحتل جزء من الجهة الغربية للدار . وبجانبه يقوم البيت الرئيسي الكبير الذي يمتد جهة الجنوب والشرق ، وحجمه يبلغ عشرة أمتار عرضاً وعشرة أمتار طولاً وعشرة أمتار ارتفاعاً (١٠ متر) ويحتوي على اربع قناطر ضخمة ، جدرانه مبنية من الحجارة العادية والطين وهو أول بيت في البلد سقفه من الأسمنت المسلح . وهو يحتوي بداخله على جميع المرافق اللازمة للعائلة الريفية ، فكان يحتوي على عدد من السّدات (الراوية) ، وله ساحة اولية منخفضة تدعى (قاع البيت) تستعمل للدواب ، ثم تليها المصطبة وهي ساحة البيت الواسعة التي يستعملها الأفراد ، ويصعد اليها بدرجتين ، وفيه (القطع) وهو مساحة واسعة لخزن التبن للدواب ، وخابيتان واسعتان احداهما لخزن القمح والأخرى لخزن الطحين ، وحامل كبير للفراش . وقد كانت تقام بداخله حفلات الأعراس من دبكة وسحجة واطلاق البارود ، حتى تكوّن من جراء ذلك اعشاش صغيرة للعصافير بين السقف والقناطر ، كنا نجمع منها اعداداً كبيرة من العصافير في موسم التكاثر ، وما زال قائماً للآن يشهد بمهارة بانيه . وأمام هذا البيت والبيت الأول سابق الذكر تمتد ساحة الدار الرئيسية التي تتوسط البيوت ، ومن الجهة الجنوبية يقوم سور مرتفع لا يمكن تجاوزه بسهولة ، ومن الجهة الشرقية يوجد حائط بارتفاع الغرفة مبني من الحجارة النارية المصقولة ، ويتوسطه الباب الرئيسي للدار الذي يبلغ عرضه حوالي ثلاثة أمتار وارتفاعه ثلاثة أمتار ، ويوجد على جانبيه حجران كبيران من الآثار الرومانية - مما يدل على قدم البلدة - ويطلق عليهما (الكبشان) وهما عنوان للكرم والجود ، ويعلو الباب مركاس (كومة) من حطب الأشجار اليابس الذي يتم خزنه لوقت الحاجة ولا سيما في فصل الشتاء حيث تزداد الحاجة للحطب من اجل التدفئة والطبخ ، خاصة أن المصدر الأول للنار كان الحطب ثم الكاز .

ومن الدور الكبيرة أيضاً والتي تشتمل على مختلف انواع البناء والبيوت دار السيد عبد الرحمن عبد الحميد فريحات التي تحتوي فيما تحتوي على بيت واسع جداً يتراوح حجمه ١٦ متراً طولاً و ١٠ امتار عرضاً و ٦ امتار ارتفاعاً ، وما تجدر ملاحظته هنا أنه توجد في هذا البيت أفعى (حية) منذ مدة طويلة وما تزال حتى الآن وقد أصبحت شبه أليفة بحيث انها تتجول فيه دون أن تؤذي أحداً ودون ان يؤذيها احد . وكذلك دار صالح اسعيد سمّودي ، وعبد الوهاب صالح سمّودي ، ودار الحاج نمر ودار الحاج احمد مسعد ابو حسن ، ودار يوسف حلو حوشيه . ومن أشهر العقود ، عقد دار عبد الله حسين فريحات ، وعقد دار عبد الوهاب صالح سمّودي ، وعقد دار الحاج حسين سعادة ابو حسن ، وعقد دار طه عبد يحيى ابو الهيجاء ، وعقد الحاج ابراهيم خطيب ابو الهيجاء ، وعقد حسن صالح سموّدي ، وعقد حسين الداود ، وعقد علي اللبدي وسليمان اللبدي ، وعقد دار شاهين وعقد دار عبيد وعقد عبد الخالق الحاج احمد حوشيه . ومن البيوت الكبيرة أيضاً بيت الحاجة سارة الذي كان يتألف من تسع قناطر ، وبيت الحاج نصر يونس فريحات ، وبيت عفونة وبيت عبد الله عبد الرازق .

الزراعة

الحرفة الرئيسية لأهالي اليامون مثل بقية سكان قرى فلسطين هي الزراعة . وتشتهر اليامون بزراعة الاشجار المثمرة والحبوب والقطاني والخضروات ، واليامون مشهورة بالزراعة منذ القدم ، الذي يعطيها هذه الميزة مساحة اراضيها وخصوبتها حيث تشرف على مرج بني عامر المعروف بخصب آراضيه وجودتها بسبب عمقها وغناها بالمواد العضوية واحتفاظها بالماء طويلاً .

وكانت الزراعة تعاني من تخلف الأساليب المستعملة ، حيث كان الفلاح يعتمد على الحيوانات والمحراث اليدوي ، وحتى الثمار يتم قطفها بالطرق البدائية ، وحصد الحبوب يتم بالايدي والمنجل ، ولكن هذه الايام طرأ تحسن لا بأس به ، فقد ادخل المحراث العصري (التراكتور) والحصادات الآلية في حصد ودرس الحبوب ، وادخلت زراعة البلاستيك والري بالتنقيط للحصول على محاصيل مبكرة تكسب الفلاح اسعاراً مربحة ، وتعمل على توفير الخضار طوال ايام الستة ، ومن اهم مزروعات اليامون ما يلي :

١ - الاشجار المثمرة
٢ - الخضار
٣ - الحبوب
٤ - البقوليات

وقد كانت نسبة المشتغلين بالزراعة من أهالي حوالي ٩٠٪ إلا أن هذه النسبة قد تضاءلت كثيراً بحيث لا تتعدى الـ ٥٠٪ وذلك بسبب تطور التعليم وانتشاره حيث انتقل ابناؤها الى حياة المدن ، واشتغلوا بالوظائف والتجارة والمهن الفنية ، ومع ذلك ما زالت الزراعة هي المصدر الاساسي لعدد كبير من السكان .

وسنتناول بالحديث اهم المزروعات التي تشتهر بها اليامون .

اولاً : الزيتون :

نظراً للأهمية العظيمة التي تحظى بها شجرة الزيتون من الناس ، والكرامة والقدسية التي وهبها اياها الله سبحانه وتعالى ، فقد رأيت ان اقدم للقارئ بعض المعلومات المفيدة حول شجرة الزيتون من حيث منشئها وأنواعها وأنواع الزيت وطرق استخراجه .

فشجرة الزيتون اول ما عرفت في بلاد الشام ، ثم نقلها الفنيقيون مع اشجار الكرمة الى اليونان ثم إلى ايطاليا وشمال افريقيا واسبانيا ، ومنذ القديم جعلت اغصان الزيتون رمزاً للسلام ، ولعل تفاؤل الناس بالزيتون والحمام يعود الى حادثة الطوفان في عهد سيدنا نوح عليه السلام ، حيث ان الحمامة عندما رجعت اليه عليه السلام تبشره بانتهاء الطوفان كانت تحمل في فمها غصناً من الزيتون .

وقد تغنى الشعراء بشجرة الزيتون ، فقد وصفها الشاعر الاردني حسني زيد احسن وصف ، واظهر فوائدها ورموزها ، فكان مما قاله

حملت من الأثمار حبّ زُبُرْجُل ... فانظر بدائع صنع ربك واشهد
قد عاصرت موسى الكليم وخادنت ... عيسى الطهور وآمنت بمحمد
وآتى الكتاب محدثا عن زيتها ... وهو المضيء بلا سنى وتوقد
محسودة ابداً على ايراقها ... في كل فصل عابس متربد
نشرت على وجه الأديم ظلالها ... فهجيره في الصيف مخضل ندي
وبدت لنا أوراقها كأنامل ... متشابكات من حسان خرد
في كل غصن مورق من نبتها ... معنى اعز على اليراع من اليد
عرفوا بها التبر المذاب وادركوا ... نفع الغذاء بزيتها المتفرد
طوبى فلسطين العزيزة أننا ... نفديك بالأرواح رغم الجسد
وجبالك الخضراء في زيتونها ... ازدانت كعقد في النحور منضد
لم يبلها قدم العصور ولم تزل ... فيها نضارة عصرنا المتجدد
ونظل نحيي خير اكرم غرسة ... والله ربك من وراء المقصد

كما أن الله سبحانه وتعالى اكرم شجرة الزيتون وبوّأها مكانة مرموقة ، فقد ورد ذكرها في القرآن الكريم اربع مرات ، منها سورة خاصة بالزيتون : فقال تعالى ﴿ **والتين والزيتون ، وطور سنين ، وهذا البلد الأمين ، لقد خلقنا الانسان في احسن تقويم ، ثم رددناه اسفل سافلين ، إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم اجر غير ممنون ، فما يكذبك بعد بالدين ، أليس الله بأحكم الحاكمين** ﴾ .

وحتى الامثال الشعبية استعملت شجرة الزيتون للتعبير عن معان وحكم، ومن الامثال التي قيلت في شجرة الزيتون ما يلي:

١- الزيتون ملك العاجز: ويقصد به عدم حاجة شجرة الزيتون للعناية الفائقة، والنفقات الباهظة.

٢- سيل الزيتون من سيل كانون: اي ان غزارة الزيت مرتبط بغزارة امطار كانون.

٣- القمح والزيت عمود البيت.

٤- ان اخرج في شباط هيئوا له بطاط، وإن اخرج في إذار هيئوا له جرار، وان اخرج في نيسان هيئوا له فنجان.

واشهر المناطق المزروعة بالزيتون في فلسطين هي منطقة جنين ولا سيما الاراضي الواقعة حول ام الفحم واليامون وسيلة الحارثية وكفرذان وبرقين وكفرقود ويعبد وعرابة وكفر راعي وسيلة الظهر والفندقومية وجبع وقباطية. وتعتبر بلدة قباطية اكثر قرى جنين زيتونا ولكن عنايتهم بها قليلة، وتعتبر اليامون من أنشط قرى جنين في زراعة الزيتون، وحازت على شهرة كبيرة لاعتناء اهلها الشديد باشجار الزيتون. والزيتون يعطي ٢٥٪ من وزنه زيتا، وتعطي الشجرة الواحدة معدل ٢ كيلو غرام في سنة المحل والقحط، و٧ كيلو غرام في السنوات المتوسطة الحمل، و ١٢ كيلو غرام في سنوات الحمل او (السنة الماسيّة).

واليامون ثالث قرية من قرى جنين في زراعة الزيتون اذ تبلغ مساحة الارض المزروعة زيتونا حوالي سبعة آلاف دونما، وتأتي قباطية في مقدمة قرى جنين في زراعة الزيتون اذ تبلغ الارض المزروعة زيتونا حوالي ثمانية آلاف دونما، وتليها يعبد التي تتراوح اراضيها المزروعة زيتونا حوالي سبعة آلاف وخمسمائة دونما، وتأتي برقين في المرتبة الرابعة اذ تبلغ مساحة اراضي الزيتون فيها حوالي اربعة آلاف دونما، وتليها في المرتبة الخامسة عرابة (٣٤٠٠ دونماً)

وأهم المناطق المزروعة زيتونا في اليامون فهي: الباطن، البَرِك، خلّة الشامي، ابو قدسية، البرانس، الحمرة، المنيبر، أبو القطّين، المراجمين، قطاين النتِش، وادي رحال، المقشور، القراقيد، اللحّف، القيزوية، حريقة عمرو، الحرايق خلايل التفحات، خلة النبعة، الرهوة، زردات جوهر، خلايل فروح، ابو زريق وغيرها.

واشهر انواع الزيتون في اليامون هو الزيتون الرومي الذي يعتقد انه يعود إلى عهد الرومان، وتمتاز اشجار الزيتون الرومي بضخامتها وبفراغ جذعها بسبب النخر الذي اصابه. ولهذا النخر اسطورة قديمة مفادها أنه عندما توفي الرسول صلى الله عليه وسلم سقطت اوراق جميع الاشجار حزناً عليه ما عدا شجرة الزيتون، فتعجبت الاشجار من ذلك. غير

انها في السنة التالية سمعت الاشجار صوت دويّ هائل يصدر من اشجار الزيتون التي انفجر قلبها ويبس من شدة الحزن على وفاة الرسول (صلى الله عليه وسلم)، ومنذ ذلك الوقت اعتبرت كل شجرة نخر وسطها رومية، وحدث ان تحدثت شجرة تين مع جارتها الزيتونة قائلة لها: أنا كتيت الورق! فأجابتها الزيتونة: انا قلبي احترق، اي ان حزنها كان اشد من حزن جميع الاشجار.

- والنبالي: وهو ذو الحب الكبير الحجم، اخضر اللون، ويصلح للكبيس، وهو غزير الزيت، اذ يعطي حوالي ٢٥-٤٠٪ من وزنه زيتا.
- الصّرّي: وهو حب اسمر صغير يعرف بالسماري في اللد والرملة، والزميري في القدس، وهو لا يصلح للكبيس، وغير غزير الزيت، الا ان زيته من النوع الممتاز.
- الخضاري: وهو يشبه النبالي من حيث الحجم والشكل، ويكون لونه قبل النضج اخضراً، يتحول الى الاسود عند النضج، وهو يصلح للكبيس وغزير الزيت.
- الشامي: وهو حب كبير الحجم لونه بنفسجي ثم يتحول للاسود، ويصلح للكبيس اكثر منه للزيت، واشجاره في اليامون غير كثيره.

قطف الزيتون ودرسه :

يتم قطف الزيتون الاخضر الذي يستعمل للكبيس (الرصيع) منذ اواخر شهر ايلول واوئل شهر تشرين الاول، اما الزيتون الاسود (الجرجير) فيقطف عند تمام نضجه واكتمال سواد لونه.

ويتم جمع المحصول بطريقتين هما :

١- الجول: وهي عملية جمع الثمار الساقطة بفعل الريح، ويسبق ذلك تنظيف الارض تحت الشجرة، ويتم جول الزيتون اكثر من مرة ويتم درس زيتون الجول في المنازل، ويستخرج منه الزيت بالطريقة التقليدية التي سيأتي شرحها بعد قليل.

٢- الجدّ: ومعناه القطع، وهو يعني اسقاط الثمر بضربه بعصا طويلة رفيعة، وهو طريقة سيئة لانه يهشم كميات من الاغصان المثمرة والاغصان التي ستثمر في العام القادم، ويجب التوقف عنه واستعمال القطف بالايدي والسلالم والامشاط القاطعة ولو انها مكلفة، لأن فيها حماية لاشجار الزيتون من الهلاك وبعد قطف الثمار هناك بعض العادات التي يستعملها الناس مثل فرد المحصول تحت اشعة الشمس او تبليله وكمره، وقد كان يتم درس الزيتون في اليامون سابقاً في (البَدّ) ثم بدأ استعمال المعاصر الآلية والمعاصر الحديث، وقد كان في اليامون في سنة ١٩٤٧ ثلاثة أبداد ومعصرتان، ولم

يكن يوجد في اي قرية من قرى جنين معاصر اكثر من اليامون سوى في يعبد التي كان فيها ثلاث معاصر وبد واحد، وكان في قباطية معصرتان وثلاثة ابداد، وفي عرابة معصرتان وبدّان، وفي سيلة الحارثية معصرتان وثلاثة ابداد.

والأبداد الثلاثة التي كانت في اليامون والتي انتهى العمل بها هي :

- بد دار ابو سليمان : وهو ملك لعائلة ابو سليمان في وسط البلد.
- بد دار الشيخ أحمد قرب الجامع القديم
- بد دار الحردان في الحارة الشرقية

والبدّ عبارة عن حوض كبير في وسطه حجر طاحونة ضخم يوضع الزيتون في الحوض ثم يربط حجر الطاحونة بحصانين يآخذان في الدوران فيهرس الزيتون ويطحن ، وبعد ذلك ينقع في الماء الساخن ثم يعصر ويستخرج منه الزيت، وهو من النوع الممتاز لكنه غير غزير.

انواع الزيت :

١- **زيت الطفاح :** وهو من اجود انواع الزيت، قبل ان يحين موعد جني محصول الزيتون قد ينفذ مخزون بعض الناس من الزيت ولكي لا يشتروا زيتا من السوق يلجأون الى قطف كميات قليلة من الزيتون قبل موعد الموسم، ثم يدرسونها في البيت بواسطة مجرشة صغيرة عبارة عن وعاء كبير أو حوض من الأسمنت وحجر متوسط الحجم ثقيل الوزن كروي الشكل، فيوضع الزيتون داخل الوعاء والحوض ويتم تحريك الحجر فوقه الى ان يطحن ويصبح شبه معجون فيوضع داخل وعاء ويصب عليه ماء ساخن ثم يترك قليلاً ثم يفرك المعجون بالماء ويترك قليلا فيطفو الزيت فوق الماء ويفصل عنه، ويستعمل للآكل. وهو اجود انواع الزيت الا ان كميته قليلة.

٢- **زيت الفغيش :** وهو زيت الشّدة الأول، المأخوذ قبل امتزاجه بالعكر، وهو أيضاً من أجود انواع الزيت وإن كانت درجة حموضته مرتفعة. وحتى يكون الزيت جيداً يجب ألاّ تزيد حموضته عن ٥٪ واذا كانت ٢٪ كان أفضل، اما اذا زادت عن ٥٪ فيعتبد غير جيد. وصفات الزيت الجيد ان يكون لونه اصفر فاتحا وصافيا، غير داكن، وليس له رائحة، ولا يدخّن على النار، واذا قلي به لا يترك طعم الزيت.

٣- **الزيت الصناعي :** وهو غير الصالح للاكل لفساد طعمه او رائحته او ارتفاع حموضته الى ١٠٪، ويستعمل في صناعة الصابون.

ثانيا اللوز :

تعتبر زراعة اشجار اللوز في اليامون في المرتبة الثانية بعد الزيتون، حيث توجد مساحات واسعة من الاراضي الجبلية والوعرية تبلغ قيمتها الاجمالية حوالي ٨٨٠ دونم مزروعة باللوز، وهي تشكل مصدراً لا بأس به في دخل الفلاح، وما يميزها عن غيرها من الاشجار شدة مقاومتها للجفاف، لذا اختصت بالمناطق الوعرة، وأهم المناطق المزروعة باشجار اللوز في اليامون هي : جبل بيرين، حريقة مونّس، الكشاش، خلّة سلامة، ظهرة عيسى، قصر حسن، المضماد ، خلايل فرّوح، المقرّنة، اللحف، النقارة، وديان ابو سليمان، مراح باش، والحاج حسين.

وكان انتاج اليامون من اللوز يفيض عن حاجة الاهالي فيتم تصديره إلى نابلس وعمّان.

ثالثا المشمش :

وهو شجرة ذات ثمار لذيذة بالإضافة الى جمال منظرها وبهاء رونقها، وقد كانت بعض المناطق في اليامون تتراوح مساحتها في حدود ٥٠٠ دونماً مزروعة بالمشمش، وأهم المناطق التي كانت مزروعة بالمشمش هي :

- وديان طريق سيلة الحارثية المقابلة لمنطقة الحبشة وكانت تخص الجرادات.
- وديان زرد البعيد تخص عبد الكريم فريحات وأقاربه .
- وديان دار سعّيد وتخص دار الحاج ابراهيم واحمد الحاج اسعد والحاج طه عبد يحيى.
- وادي خليل حسين ووادي علي الصالح احمد الحاج اسعد وعبد السلام حسين الشيخ حامد واخوه كامل وبنات محمد الحاج عبد .
- القطعة ، وبيرين

انواع المشمش :

- الحموي : لونه ابيض ناصع مع بعض البقع الحمراء التي تضفي عليه الجمال، وهو شديد الحلاوة، وبذوره كبيرة الحجم.
- العلوي : حب كبير الحجم، لونه اخضر قبل النضج ثم يتحول الى الاحمر ، وهو حلو الطعم.
- اللوزي : يشبه العلوي إلا أنه اصغر منه حجماً.

وكان يصدر الى حيفا وجنين ونابلس.

رابعاً التين :

شجرة مباركة مثمرة، لا توجد مساحات مخصصة لزراعتها، وانما يوجد عدد لا بأس به من اشجار التين عند كل مزارع في البلدة، وتقدر المساحة المزروعة بالتين حوالي ١٠٠ دونم.

واشهر انواع التين التي كانت تزرع في اليامون هي :

- الخرطماني، والسّباعي، والموازي، والخضاري، والحلاوي، والسّوادي، والعجلوني.

خامساً الجرانق (البرقوق) :

كانت توجد بعض الاشجار في بعض البساتين تكفي للاستهلاك المحلي، اما من اجل التصدير فلم يكن موجودا الا في ثلاث مناطق تبلغ مساحتها حوالي ٢٠٠ دونم وهي :

- خراريب دار الغزال.
- وديان دار سعيّد.
- وديان طريق سيلة الحارثية (الجرادات).

سادساً الكرمة (العنب) :

لقد كانت اليامون تشتهر بزراعة الكرمة حيث كانت هناك مساحات واسعة لزراعتها، وقد تم العثور على بعض المعاصر الارضية التي كان يتم فيها عصر العنب من اجل صناعة الخمور، الا ان الاهالي عملوا على استبدال مساحات الكرمة باشجار الزيتون المباركة، ولم يبقى سوى بعض داليات العنب هنا وهناك.

سابعاً الصّبر (التين الشوكي) :

وهو موجود بكثرة في اليامون، اذ انه كان يستعمل كسياج يحيط بالبساتين ويفصل فيما بينها، واحسن الاوقات لقطفه واكله في الصباح الباكر قبل اشتداد الحر، خوفا من تطاير اشواكه المدببه الى داخل العيون، وقد كان في البلدة بعض النساء متخصصات في رفع وازالة هذه الاشواك من العين وهي عملية تتطلب مهارة فائقة.

ثامناً أشجار متنوعة :

وهناك بعض الاشجار المتناثرة هنا وهناك والتي لا يمكن اعتبارها من المزروعات في البلدة نظراً لقلة عددها مثل الخرّوب والزعرور والتوت.

تاسعاً الخضروات :

اهم الخضروات التي تزرع في اليامون: الكوسا، والبطاطا، والبصل، والثوم، والبندورة، والباميا، واللوبياء، والفول، والسلق. وهناك بعض انواع الخضروات البرّية التي يكثر وجودها في المناطق الوعرة وهي ذات طعم لذيذ، مثل : العلك والعكّوب، والعويّنة، واللّسّينة، والزعمطوط، والزعتر، والميرمية، والزعتر فارسي، والشومر، والخردلة والشحيم، والبصّيل، والقصيقصة والمصيبعة وغيرها.

عاشراً البطيخ والشمام :

يعتبر البطيخ من المحاصيل الرئيسية في اليامون ولا سيما في مرج بني عامر، وكان يصدر الى مختلف الدول العربية كالكويت ولبنان، وكان يصل وزن البطيخة الواحدة الى ٢٠ كيلو غراماً، واجود وانواعه الجدوعي وهناك السويسري، وابو صرّة، والمحيسن، والقادوس.

اما الشمام فيأتي في مرتبة اقل من البطيخ نظراً لعدم مقاومته للطبيعة وسرعة تلفه.

حادي عشر الحبوب :

١- **القمح** : وهو الغذاء الاساسي للسكان، ويستعمل بالإضافة الى عمل الخبز اللذيذ خصوصاً خبز الطابون البلدي. في عمل الفريكة التي تستعمل في الشوربة او الطبخ المفلفل كالأرز، والبرغل الذي يستعمل لعمل المفتول او المحاشي بدل الأرز او الكبّة. والسّميد المستعمل في صناعة الحلويات.

وقد كان سابقا يطحن بالايدي بواسطة طواحين يدوية، اما الآن فيطحن بالآلة العصرية المعروفة باسم (البابور) ويوجد في اليامون اربعة بوابير لطحن القمح.

٢- **الشعير** : يحتل الشعير المركز الثاني بعد القمح ويستعمل كعلف للماشية وكان يستعمل في سنوات الجدب والقحط لعمل الخبز، بالمناسبة فأود ان اذكر ان خبز الشعير في الجزائر أثمن انواع الخبز ولا يأكله الا المحظوظون، وهو يفيد في عملية ادرار البول.

٣- الذرة البيضاء : ونظراً لصعوبة قطفها ودرسها يتحاشى الناس زراعتها ، ولكن نظراً لوفرة محصولها يلجأ لزراعتها بعض الفلاحين ليخلطوا دقيقها بدقيق القمح لعمل الرغيف البلدي ، وفي سنوات القحط كما حدث سنة ١٩٥٤ - يعمل منها الناس الارغفة المعروفة (بالكراديش) وهي غير مقبولة عند الناس لانها تدل على الفقر.

٤- السمسم : بزرع خاصة في مرج بني عامر ، وكان يصدر للخارج ، ويستعمل في صنع الحلويات (الحلاوة) ، والطحينية ، وزيت السمسم.

٥- القزحة (حبة البركة) : تشبه السمسم إلا أن لونها اسود ، وتستعمل لتزيين خبز الطابون ، كما انها تطحن وتذاب في الماء لتعطي مادة لزجة تستعمل في صنع الحلويات البلدية اللذيذة ، او تغلى فتشرب شراباً لذيذاً.

ثاني عشر القطاني :

وأهمها : العدس ، والكرسنة والحمص ، والفول وخاصة في المناطق الوعرة.

الرعي

فرضت طبيعة الحياة الريفية الفلاحية على سكان القرية تربية بعض انواع الحيوانات الأليفة ، لاستخدامها في اعمالهم الفلاحية ، ولا سيما الابقار والحمير وبشكل اقل الخيول والبغال والجمال ، ومن الاهالي من كان يقتني عدداً كبيراً من الماشية ، وكان بعضهم يشتغل في مهنة الرعي ، سواء كانت الماشية ملكه الخاص ، او ملكا لأهالي البلد ، ويقوم برعيها مقابل اجر معلوم ، وقد بلغ عدد الاغنام في اليامون في الاربعينات حوالي الف رأس من الماشيه.

ومن اشهر من كانوا يملكون اعداداً كبيرة من الاغنام . حسن صالح سمودي ، حيث كان يملك عدداً كبيراً من الاغنام والابقار والخيل والحمير والجمال ، وكان يعمل عنده عدد من الرعاة الخاصين برعي مواشيه وحيواناته.

- توفيق أبو سعد أبو حسن : وكان لديه عدد كبير من الابقار يرعاها لنفسه.

- الحاج مصطفى عبده فريحات واولاده : فقد كان لهم عدد كبير من الاغنام ، ولا سيما الخراف ، وعدد قليل من الماعز الذي كان ينفر الناس من تربيتها لعدائها الشديد للاشجار والمزروعات ، وكانوا في بعض الاحيان يشكلون اضافة الى قطيعهم ، قطيعاً آخر يخص الأهالي يقومون برعيه مقابل اجر معين.

- دار ابو جبل كان لديهم قطيعا من الغنم

- طاهر عجاوي خمايسة واولاده : كان لهم قطيع كبير من الاغنام وخاصة السمراء.

هذا علاوة عن الاشخاص الذين كانوا يملكون اعداداً قليلة من الاغنام والابقار وفرس وحمار من اجل العمل الفلاحي.

عندما كانت كل هذا الشلايا وهي سارحه في الصباح كانوا يصفون كلهم في اول طلوع النهار ، من جهة حريقة الرأس واول النقارة الغربية وعند الغياب كذلك وتعال وشوف المنظر اللي والله ما عدنا نفرح بمثله ، شلايا غنم اسود وابيض و٣ عجاجيل بقر عندما كانوا بردوا على العين الشرقية وهم مروحين عن طريق الوديان ما احلى ذلك المنظر.

السقاية

يوجد في اليامون عدد لا بأس به من العيون وينابيع المياه المتفجرة تلقائياً من الارض، وهي منتشرة في مختلف جهات البلدة، والاراضي العائدة لسكانها، وهذه العيون والينابيع هي :

١- عين الشيخ محمد في ارض ابراهيم الياسين في منطقة شلاميش، وهي مسجلة ملكاً مشاعاً لجميع سكان اليامون، حيث يرتادها جميع الناس لاحضار الماء.

الهوّاية (١) : وهي في منطقة الكفّة في ارض عبة المالك سليمان، الواقعة بين النقّارة والمهدب، وهي عبارة عن خسفة رعد وبرق انشقت على شكل نهر جاري عميق. ومياهها لا يستفاد منها لاعتقاد الناس بآن من يردها لا بدّ ان يغرق فيها ويموت، ويقولون ان من يصغي اليها جيداً يسمع اصواتا عالية للرياح، مما يجعلهم يعتقدون بأنها مسكونة من الجن.

٣- نبع وادي حسن في اقصي المنطقة الشرقية الجنوبية على حدود اراضي قرية برقين، ويعتقد الناس ان نهر المقطع تتجمع مياهه من هناك.

٤- نبع خلّة النبعة : وتوجد في الجهة الجنوبية الشرقية في ارض عبد القادر الحاج محمد فريحات.

٥- بئر رزدق : وهو عين ماء تقع في الجهة الشرقية على حدود ارض كفرذان.

٦- العين القريبة : عبارة عن بئر ارتوازي واسع، يبلغ عمقها حوالي عشرة امتار، ومياهها غير غزيرة، بحيث انه في بعض السنوات لا تفي بحاجة اهل المنطقة من الماء، مما كان يضطرهم للتوقف عن اخذ الماء منها لمدة يوم او اكثر لكي يتجمع الماء فيها، وعندها يبدؤون برفع الماء منها، وهي تقع بين منازل الحارة الشرقية الجنوبية من البلدة.

٧- بئر بيرين : وهو بئر ارتوازي قديم جداً، جدراته مبنية بالحجارة اسطواني الشكل غير واسع، عمقه حوالي ستة امتار، يوجد في الجهة الجنوبية من البلدة، على سفح جبل بيرين الشاهق الذي يفصل بين اليامون والهاشمية. والاراضي التي حوله تمتاز بالخضرة الدائمة لاحتوائها على مختلف انواع الاشجار المثمرة والخضروات، ونظراً لبعده عن القرية حوالي ٥ كيلو متر فإن ارتياد الناس له لاحضار الماء قليل.

١- عن إبراهيم يوسف نمر، ويؤكد الصبغة السحرية لهذه العين.

٨- العين الشرقية (عين السّباع) : وهذه العين من اقدم العيون في المنطقة كلها، وهي عبارة عن بئر واسع الارجاء على شكل مستطيل طوال اضلاعه ١٠ × ٦ متر، ، عمقه حوالي ١٠ امتار، وله سقف من الاسمنت المسلح المغطى من الاعلى بالحجر الرخامي الاملس.

وبه فتحات بارزة كثيرة لانزال الدلو منها ورفع الماء، وهي اهم عين في البلدة، وقد كانت تستعمل بالإضافة لتزويد القرية بماء الشرب لتوفير المياه لسقي الحيوانات والمواشي، بحيث يوجد حولها عدد من الجوابي (المشارب) لوضع الماء فيها للحيوانات وكذلك كانت تستعمل للسباحة ، حيث كنّا ايام الصبا والشباب نذهب اليها ونهبط لقعرها بواسطة ماسورة طويلة مثبتة على جدارها من أعلى الى اسفل وحولها حفر صغيرة لوضع أصابع القدم فيها لامكانية التسلق عليها.

ورغم عدم صحة تلك العملية سواء من ناحية نظافة مياه الشرب او من الناحية الأخلاقية، فقد كان الشباب يقضون أيامهم بالبهجة والسرور وهم يسبحون في مياهها، ولا سيما وقت القيلولة حيث يتوقف ارتياد الناس لها، وحيث يكون الطقس حاراً.

٩- نهر المقطع : ويعرف ايضاً باسم نهر حيفا، وكان يدعى قديما نهر (قيشون) بمعنى منحني، واطلق عليه الرومان اسم نهر باسيدا وهو ثالث انهار فلسطين، يبلغ طوله حوالي ١٣ كيلومتراً، تتجمع مياهه شمال شرقي تل المسلّم، ووادي حسن شرق جنوبي اليامون، وتتخذ المياه مجراها سائرة ببطء ومتقطعة احياناً ومنها اخذ اسمه (المقطع) باتجاه الشمال الغربي لتصب في خليج عكا على بعد ٤ كلم شرق المدينة.

وقد ذكر الرحالة الانجليزي ماك كريكور الذي ارتاد نهر المقطع ١٨٦٩م انه طلع عليه بغتة تماسح كاد ان يقلب زورقه، إلا انه لم يحدث ان ذكر شخص آخر انه رأى في المقطع حيتان وتماسيح. وقد كنا نذهب إليه للاستحمام والسباحة، وكنا نقضي ساعات طويلة من النهار نطفيء لظى اشعة الشمس، وهو يسير بهيئة ملتوية فيضفي على مرج بني عامر جمالا رائعاً خلابا، تزينه الخضرة المحيطة به.

١٠- الآبار المنزلية : لا يخلو منزل من بئر محفور وسط ساحته، تجمع فيه مياه الامطار، وتستعمل للشرب وقضاء جميع الحاجات البشرية، وقد يكون في بعض المنازل بئران ويتم جمع المياه فيها عن طريق تجميع مياه الامطار من على اسطح المنازل في قنوات صغيرة تتجه باتجاه البئر وتصب فيه.

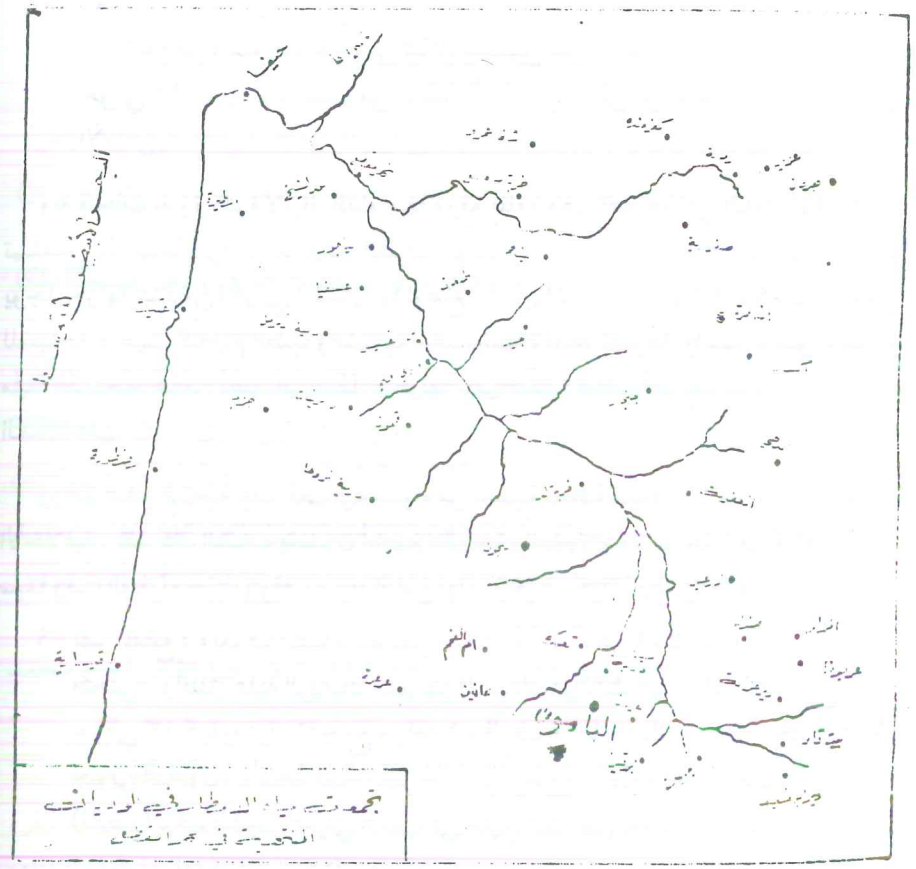

تجمعات مياه الامطار في الوديان المنتهية في نهر المقطع

كيفية نقل المياه الى المنازل :

لم يكن يوجد في اليامون شبكة تمديدات حديثة للمياه، بل كان يتم رفع المياه من الآبار المنزلية او العيون او الآبار الارتوازية بواسطة (الدّلو) وهو عبارة عن وعاء مصنوع منا الكاوتشوك يربط بحبل ثم يرمى الى قعر البئر حيث الماء، وعندما يمتلئ بالماء يتم رفعه باليد، إلى أن يتم ملء الجّرة او الجالون. وكانت عملية احضار الماء من مهمات النساء بالدرجة الاولى، فكانت الفتاة الشابة او المرأة تذهب الى العين التي تبعد اكثر من ٣ كيلو متر حاملة الجرّة (❖) على رأسها بطريقة فنية. بحيث تكون بشكل مائل لا يكون منها على الرأس سوى بقعة صغيرة من احد جوانب قعرها، وتسير فيها دون أن تسقط من على رأسها، ثم يتم خزن الماء في المنزل داخل أوعية فخارية كبيرة، عادة تكون (البطّة) ثم يؤخذ الماء من البطة ويوضع في اواني فخارية اخرى اصغر واسهل للاستعمال، وهي اكبر قليلاً من الابريق ولكنها بشكل الزير، او الابريق الذي له اضافة لفتحته الرئيسية ، فتحة انبوبية صغيرة في الجزء الجانبي الاعلى منه تستعمل لسكب الماء منها، ونظراً لارتشاح الماء من هذه الاواني الفخارية ذات المسامات فإن الماء فيها يكون بارداً ومنعشا. وكان الشباب يشاركون الى حد ما بنقل المياه من الآبار والعيون بواسطة جالونات توضع على ظهور الحمير، بحيث يوضع على ظهر الحمار ما يسمى (البردعة) و (الحِلس) ويتدلى من على جانبيه وعاءان كبيران مربوطان بسلسلة غالباً ما تكون حديدية، وغالباً ما كان الوعاء هو الجالون المصنوع من الحديد.

وأود ان اشير إلى أنه رغم الجهود المستمرة لايجاد بئر ارتوازي لتوفير المياه لجميع سكان القرية بشكل يتماشى وازدياد عدد السكان ، فإنه لم يتم حتى الآن العثور على بئر ذي جدوى عملية لامداد البلدة بالمياه عبر شبكة مياه عصرية، مما اضطر الاهالي الى شراء المياه بالتنكات التي تصب في آبار او خزانات ارضية، يتم رفع الماء منها بواسطة مضخة كهربائية.

المخابز في اليامون :

قبل الوصول الى عملية الخبز يمر القمح بعدة مراحل تبدأ بالطحن وتحويله الى دقيق، ثم عجن هذا الدقيق الى عجين خامر باستعمال الخميرة، وبعد ذلك يترك العجين فترة مناسبة من الوقت حتى يتخمر جيداً فتقوم النسوة بخبزه وصنع الارغفة اللذيذة، وهناك ثلاث طرق لصناعة الخبز، كل واحدة استعملت بشكل يفوق الطريقتين الآخريتين في وقت معين، وان كان مر وقت استعملت فيه الطرق الثلاثة بشكل ملحوظ : وهي :

١- الصاج : وهي صناعة الخبز بالصاج طريقة تقليدية كان يستعملها البدو والاعراب المقيمين في اراضي اليامون، وقد اقتبسها عنهم سكان القرية، ولكنها كانت نادرة

الاستعمال، والصّاج عبارة عن قطعة حديد مقعرة تثبت على ٣ حجارة وتوقد النار اسفلها حتى تسخن فعندما تقوم الخبّازة برقّ العجين بتنقيلها من كف الى اخر حتى يصبح بحجم الصاج ، ورقيق جدّا يكاد يكون شفافا، وتوضع هذه الرقاقة فوق الصّاج حتى تنضج وتسمى عندها (الشّراك) وهو خبز لذيذ الطعم وهو ساخن ولا سيما مع الخضار الخضراء او اللبن المخيض او زيت الزيتون الاصلي، وهو يستعمل اصلاً في تحضير مناسف الارز.

٢- الطّابون: وهو الاكثر انتشاراً واقدم وسائل الخبز في اليامون وغيرها من القرى الفلسطينية. والطابون كلمة عربية فصحى تعني الحفرة التي تدفن فيها النيران؛ فهوعبارة عن وعاء فخاري من الطين الابيض المخلوط بالتبن، يبلغ قطره حوالي ١٨٠سم بينما لا يزيد قطر فوهته عن ٦٠ سم، يغطى بغطاء غالباً ما يكون من الحديد في وسطه مقبض ناتيء يمسك به، وسمكه ٢-٣سم، ويوضع في أرضيته قطع من الحجارة الزلط تدعى (الرّضف) يوضع فوقها العجين فتترك آثارها على الرغيف. ويوقد حول الطابون الزبل والجلّة (بقايا روث الحيوانات) والقصل والتبن ، وذلك بأن تزيح المرأة الرماد القديم عن الوعاء بواسطة قطعة خشبية عريضة ومتوسطة الطول تدعى (المقحار) وتضع الزبل فوق الوعاء ثم تعيد الرماد القديم المحتوي على جمرات من النيران المختفية فوق الزبل، فيبدأ الخليط بالاحتراق البطيء دون ان تكون له شعلة، ويستمر لمدة ساعات يسخن يعدها الطابون، فتقوم المرأة برق العجين بيديها على شكل دائري واسع ثم تضعه على الرّضف وتقفل الطابون لمدة دقائق حتى ينضج الرغيف على حرارة الطابون، فترفع الرغيف بيدها وتزيح عنه الرضف الذي تبقى آثاره واضحة على الرغيف.

وخبز الطابون اكثر انواع الخبز لذة واجودها ذوقا وطعما، وهو الوحيد الذي يصلح لعمل (الخبز المسخّن) المشهور، وذلك لأنه لا تمسه اي شعلة نار كالصاج اوالفرن، وانما ينضج بهدوء على حرارة الطابون التي اكتسبها ببطء من احتراق الزبل، وفي وقتنا الحالي بدأ الطابون بالزوال: ولم يبق الا عدد قليل في البلدة، حتى اصبح الانسان يتمنى الحصول على رغيف طابون.

٣- الفرن (بيت النار): وهو قديم الاستعمال ايضاً وهو عبارة عن حفرة صغيرة اشبه بالكهف الصغير، إما أن يحفر داخل صخرة كبيرة او يبنى من الاسمنت المسلح والقرميد، وتكون ارضيته مبلطة بالاسمنت او الحجارة الصغيرة، وتخرج منه مدخنة

مرتفعة حتى لا يؤذي الدخان الجيران، وكان يستعمل قديما لاشعال النار الحطب والخشب، اما الآن فيستعمل السولار بدلا من الخشب، وعادة يكون بيت النار اعلى من مستوى الخبّاز بحيث يضع الخبز ويخرجه بارتياح، ويستعمل لذلك خشبتين طويلتين وعريضتين من الامام وطولهما قد يزيد عن المترين. ويوضع فيه الخبز في جهة ويشعل الحطب او السولار في الجهة الثانية، وتكون الشعلة كبيرة بحيث تغطي ارغفة الخبز التي تنضج تحت السنة النار. واشهر الفرانين في اليامون جميل البيعي وحمدان صالح حسن سمّودي.

الزاوية والصوفية في اليامون

الزواية هي مكان للعبادة خاص باتباع الطريقة الصوفية الذين يعرفون (بالدراويش) ، وهي مخصصة لذكر الله تعالى ومدارسة العلم والحث على فضائل الاخلاق والصلاة جماعة والدروشة هي نفسها الصوفية وتعني البساطة في الحياة والزهد والتقشف .

وقد دخلت الدروشة والزاوية الى اليامون على يد الشيخ عبد القادر محمد الحاج احمد وهو من قرية إجزم قضاء حيفا وكان يقيم في قرية عرعرة قرب ام الفحم، حيث ذهب إليه عدد من ابناء اليامون الى عرعرة وتلقوا عنه (الطريقة) واخذوا منه (العهد) وكان من هؤلاء الاشخاص الشيخ محمد الحاج عيسى حمّوه وسليم الحاج عيسى حمّوه ويونس مسعود حمّوه، ثم عمل هؤلاء الدراويش على احضار الشيخ عبد القادر الى اليامون، وافتتحوا له زاوية في دار حمّوه حوالي ستة ١٣٣٨ هـ او ١٤٤٠ هـ وقد كان له مريدون كثيرون ووصل عدد منهم الى رتبة خليفة مثل : الشيخ خليل حسين حامد ابو الهيجاء واسعد الشيخ حسن ابو الهيجاء والشيخ ياسين يوسف بشير والشيخ نجيب البدانة والشيخ محمد الحاج عيسى وهو الوحيد الذي حصل من الشيخ عبد القادر على اجازة تخوّله تربية المريدين والاشراف على زاوية . وبعد وفاة الشيخ عبد القادر اخذ الدراويش يجتمعون في منزل الشيخ ياسين بشير لانه اكبرهم سناً وبعد وفاته توقفت الامور الى أن اذن الله بافتتاح الزاوية على يد الشيخ محمد الحاج عيسى حمّوه وذلك ما بين سنة ١٩٥١ -١٩٥٢م وتوقفت بوفاته[1] سنة ١٩٦٥م .

وقد حصل عدد من الشيوخ على رتبة خليفة من الشيخ محمد الحاج عيسى وهم : الشيخ محمد الحاج صالح عباهرة الذي كان اكثرهم فتوحاً وورعاً وكرامة، والشيخ محمد محمود أحمد خمايسة والحاج صدقي يوسف مصطفى خمايسة والحاج راشد ابو صلاح نواهضة والشيخ طاهر محمد الشيخ احمد تايه نواهضة والشيخ سالم محمد حامد سمودي والشيخ عفيف سليم الشيخ أحمد نواهضة وهو الوحيد - آنذاك- الذي حصل على إجازة من الشيخ محمد الحاج عيسى تخوله تربية المريدين والاشراف على زاوية، وكذلك حصل على رتبة خليفة كل من الشيخ محمد سعيد محيي الدين بن الشيخ عبدالله العواطلي الرفاعي القاطن في سيلة الحارثية، والشيخ أحمد حسين العرقاوي .

(١) يقضي قانون الزاوية ان تنتقل مشيختها الى ابن شيخ الزاوية، الا اذا كان الابن ليس في مستوى ورتبة دينيه تؤهله لذلك، فتنتقل الى منزل خليفة اجيز مسبقا من شيخه بتربية المريدين والاشراف على الزاوية .

وبعد وفاة الشيخ محمد الحاج عيسى انتخب خلفاؤه الشيخ عارف ابراهيم سمّار شيخاً للزاوية وانتقل مقرها إلى منزله، وقد حصل على رتبة خليفة في عهده كل من الشيخ غالب عبدالله حسين فريحات، والشيخ فارس أمين عبده فريحات والشيخ رشيد محمد الحاج محمود زايد والشيخ أحمد عبد الوهاب أبو حسن . وبعد وفاة الشيخ عارف سمّار لم تستقر الأمور، ولم يكن هناك مكان معتمد للزاوية، وإنما أصبح الدراويش يجتمعون في زاوية الشيخ عارف خوفاً من ضياع الوقت وخوفاً من اشتغال الدراويش بما يلهيهم عن واجبهم الديني وانتهاء (الطريقة) من البلدة .

و(الطريقة) الموجودة في اليامون هي الرفاعية والقادرية [1]، وحاول الشيخ علي مصطفى خمايسة افتتاح زاوية في اليامون على الطريقة النويهية حيث كان قد وصل الى رتبة خليفة على هذه الطريقة في عمان، وحضر وفد من اتباع هذه الطريقة سنة ١٩٦٤م الى اليامون واقاموا حفلاً دينياً تم فيه اجازة الشيخ علي لتربية المريدين والاشراف على زواية، إلا أنها لم تدم طويلا ولم تلق اقبالاً عليها وتم اغلاقها .

أخذ العهد :

اذا رغب شخص ما في الدخول بالطريقة الصوفية والدروشة فإنه يبحث عن شيخ يثق به ويطمئن له ويرى فيه النفحة الايمانية التي تمكنه من الارتقاء، فيجلسه هذا الشيخ أمامه ويضع يده بيده ويذكّره بما في هذا الطريق من مشاق ومتاعب على النفس البشرية، وما فيه من نفحه روحية وايمانية، ثم يتلو عليه قوله تعالى : ﴿ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله يد الله فوق ايديهم فمن نكث فإنما ينكث على نفسه ومن اوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه أجراً عظيماً﴾[2]، ثم يأمره بقراءة الأوردة الثلاثة وهي : استغفر الله العظيم، لا اله إلا الله، واللهم صلّ على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد، ثم يتدرج في تكليفه بأوردة اخرى وأعمال جديدة فيرتقي من رتبة الى اخرى .

الرتب الدينية في الزاوية :[3]

هناك نظام معين ورتب متدرجة يمر بها من اراد الدخول في الصوفية وهي :

١- المريد : وهو الشخص الذي يريد ان يدخل في التصوف بمحض ارادته وهو بمقام

١) هناك عدة طرق صوفية هي : الرفاعية، القادرية، الشاذلية، الدسوقية، النويهية، (البدوية) .

٢) سورة الفتح آية ١٠

٣) الشيخ عفيف سليم الشيخ احمد نواهضة والشيخ ابراهيم عبد القادر عوض فريحات

جندي في الجيش. وعندما يأتي المريد الى الشيخ لاخذ العهد يصلي ركعتين سنة التوبة ويقرأ عليه الشيخ آية من القرآن الكريم: ﴿لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعاً من خشيه الله﴾

٢- نقيب نعالات: وربما تكون هذه الرتبة شاقة على النفس، ولكنها في معناها ترقية للمريد، لأن (الطريقة) ليس فيها حظوظ نفسية حيث يقول سلطان العارفين الشيخ عبد القادر الجيلاني: (١)

اوصيكم كسر النفوس لأنها مرتب عزّ عند أهل الطريقة

ومن حدّثته نفسه بتكبر تجده صغيراً في عيون الأقلّة

٣- نقيب مهمات: حيث يقوم بخدمة الزاوية من نظافة وصيانة، وخدمة اخوانه المريدين وضيوف الزاوية من تقديم الشاي والقهوة وكل ما يحتاجون اليه.

٤- نقيب عدّة: بعد ان يظهر نقيب المهمات كفاءة ماهرة، والتزاما وقدرة يتم ترفيعه الى رتبة نقيب عدّة فيصبح مسؤولا عن ادوات العدّة من حيث الاستلام والتسليم والنظافة والصيانة والحفظ، وتوزيعها على الشيوخ القادرين على استعمالها عند اللزوم، ولا يجوز له ان يعطي اي أداة من العدّة لشخص لا يجيد استعمالها، وعادة يكون كل شخص معروفاً بالأداة التي يجيد استعمالها.

٥- شاويش رايات: ومهمته ان يحمل السيف ويسير امام الرايات في المسيرات والرايات التي تستعمل فيها العدّة، ويقرأ الفاتحة عند المرور بقبر وليّ او من مكان يظن ان فيه من صالحين.

٦- نقيب سجّادة: وهو نائب الخليفة في الطريقة فيقوم باعمال الخليفة اثناء غيابه، ويجيزه شيخ الطريقة بالقيام ببعض ما يلزم الطريقة.

٧- الخليفة: ويتم ترقيه نقيب السجّادة الى خليفة في حفل رسمي يحضره شيوخ الزاوية وبعض الضيوف وينصبون فيه الذّكر، ويطلق عليه شيخ الزاوية نسباً، اي يقول: إن فلانا خليفة وقد قام بمنحه لقب خليفة الشيخ فلان.

ويمنح شيخ الزاوية بعض آصحاب هذه الرتبة (اجازة) لتربية المريدين ومعالجو بعض الامراض النفسية ومجادلة السلاح واللعب بالنار عند الحاجة، ويجيز بعضهم بتأسيس زاوية تحت اشرافه. والخليفة هو الذي يهبه الله تعالى الصفاء وقوة النفحة الايمانية التي تمكنه من

---

١) الشيخ عفيف سليم.

الاطلاع على بعض خفايا الامور كما فعل سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه عندما قال: يا سارية الجبل الجبل.

والرتبة التي تأتي بعد رتبة خليفة غير معروفة إلا للشيخ الذي يصل إليها، ذلك ان الشيخ عفيف سليم نواهضة (١) يقول انه سأل شيخه الشيخ الجليل محمد الحاج عيسى حمّوه عن رتبته في الطريقة فأجابه: إن رتبتي كمندار مثل شيخي ثم بعدها ترقى الى رتبة لا يعلمها الا أصحابها.

العدّة:

تحتوي الزاوية على عدّة يستخدمها الشيوخ عند نصب الذّكر والاحتفالات الدينية، وهي عبارة عن أدوات يكمل بعضها بعضا وهي:

١- الرايات: وهي اعلام مكتوب على كل منها اسم احد الخلفاء الراشدين واسم احد الأقطاب الأربعة، وأحيانا تجد اسماء الاقطاب الاربعة على علم واحد.

٢- البازة: وهي قطعة نحاسية نصف دائرية مغشاة بقطعة جلد محكمة، وهي تشبه الدربكة، ويضرب عليها بقطعة من الجلد، وتستعمل كذلك لجمع الدراويش، فعندما يضربها احد الدراويش ثلاث مرات يعرف كل من يسمعها من الدراويش ان عليه الذهاب الى الزاوية.

٣- النوبة او الطبل: وهو دائرة كبيرة الحجم مغشاة من الجانبين بالجلد يضرب بعصا على كل جانب.

٤- الكاسات: وهي عبارة عن صفائح نحاسية دائرية الشكل تشبه غطاء طنجرة الضغط بدون القبعة الغالقة، مثقوبة من منتصفها المحدّب ليتم ربطها وتثبيتها باليدين اثناء الاستعمال.

٥- السيف: وهو سيف عادي

٦- الشيش: وهو دبّوس اسطواني قطره ٢سم وطوله ٣٠سم وله مقبض اسطواني.

ويتم دقّ العدّة حسب اشتياق الدراويش او حضور ضيف الى الزاوية او قراءة المولد النبوي الشريف او حفل عرس.

والدراويش بعد الانتهاء من اعمالهم الحياتية ينقطعون في الزاوية للتعبّد وذكر الله ورسوله صلى الله عليه وسلم، ويقرؤون القرآن والتفاسير والاحاديث ..الخ. ويعملون

على تنظيم عمليات العبادة هذه بما يسمى (الذّكر) ليلة الاثنين وليلة الجمعة من كل اسبوع، فعندما يجتمع الدراويش حول شيخ الزاوية يضرب بيده ثلاث مرات معلنا الاستعداد لبدء الذّكر، ويبدأ بالتشويق كمفتاح للذكر، والتشويق هو قول بعض الأبيات الشعرية في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم مثل : يا سيدي يا اللي من غرامك ما بنام الليل . . فيردد الدراويش المصطفون حول الشيخ قائلين : لا إله إلا الله ، ويتمايلون ببطء يمنة ويسرة ثم ينهضون محركين رؤوسهم في جميع الاتجاهات ثم يتوسطهم أحد الدراويش ويدور حول نفسه بسرعة، ويرددون اسماء الله الحسنى، وتستمر فترة من الزمن تتخللها فترات استراحة قصيرة، ثم يعودون الى قول الذكر من جديد : الله حي، الله هو ، هو الله . .) وقد يقوم احدهم (بالتثوير) [٢] رغم أنه ليس من مبادئ الدروشة .

الزاوية الحالية :

بعد وفاة الشيخ عارف سمّار لم تستقر الامور وتوقفت الزاوية بعض الوقت ثم استؤنفت في نفس المكان وتم انتخاب ابنه الشيخ يوسف عارف سمّار شيخا لها، وأبرز اعضائها ممن وصل الى رتبة خليفة ومنح اجازة تربية المريدين وافتتاح زاوية هو الشيخ عفيف سليم الشيخ احمد نواهضة الذي كما اعرفه يتصف بدماثه الاخلاق وسعة العلم والاطلاع والبعد عن الخرافات والخزعبلات، ودائماً يوجه زملاءه اعضاء الزاوية الى ضرورة الابتعاد عن الأعمال والحركات التي قد تسيء الى الطريقة مثل (التثوير) وقد شاهدته في حلقة ذكر يتوسط الدراويش موجهاً لهم بحركات متناسقة هادئة بعيدة عن التثوير، وهو بالفعل يجمع بين الحداثة والأصالة، ويناقش باسلوب هادئ نقاش العلماء ، لا يغضب من محاوره طالبا له الهداية من الله إن لم يستطع إقناعه . وهو لا يتخذ من الزاوية وسيلة للاسترزاق ولا للرياء او للجاه، ولا ينقطع اليها إلا بعد الانتهاء من اعماله اليومية، فكنت اشاهده يوميا يركب عربة صغيرة يجرّها حمار في الصباح الباكر مع عائلته الكريمة متجهاً الى الحقول للزراعة وجني المحاصيل ويعود في حر الظهيرة في ملابس العمل، وفي المساء يرتدي الزّي الصوفي الرسمي الذي يزيده مهابة الى بهاء .

---

(١) لقاء مع الشيخ عفيف سليم نواهضة .

(٢) التثوير : هو عبارة عن حركات اهتزازية سريعة لجميع اعضاء الجسم كالرأس واليدين والكتفين والصدر والبطن، والتلفظ بألفاظ غير مفهومة .

الحياة الصحية في اليامون

كانت اليامون مثلها في ذلك مثل بقية القرى الفلسطينية تعاني من سوء الاحوال الصحية، وتدني بل انعدام الخدمات الصحية سواء كان ذلك في عهد العثماني او البريطاني ، حيث لم يكن فيها اي طبيب او ممرض او وحدة صحية، فكان الأهالي يقعون فرائس سهلة للامراض بحيث لم يكن المريض يستطيع المعالجة لا في القرية حيث لا يوجد احد يستطيع معالجته ولا في مدينة جنين حيث صعوبة المواصلات التي كانت تحول دون وصول المريض إليها، ولهذا كان التداوي بالاعشاب والاعتقادات الشعبية غير العلمية وغير الدقيقة في معظمها هو السائد، وكان الشخص يموت فلا أحد يدري لماذا مات وبأي مرض اصيب .

ومما زاد في سوء الحالة الصحية للسكان انتشار الفقر والجهل بين الأهالي، فكان هذا الثالوث القاتل (الفقر والجهل وسوء الحالة الصحية) وباء فتاكاً كثيراً ما يودي بحياة الناس .

وقد ظل الوضع كذلك حتى بداية عهد المملكة الاردنية الهاشمية حيث تم انشاء (عيادة صحية) في القرية، كان فيها ممرض دائم، وكان يزورها الطبيب مرتين اسبوعياً ، ولكنها كانت تفتقر للأدوية والأدوات والمعدات الصحية اللازمة لاسعاف المرضى، وهي على عدم كفايتها وقلة زيارة الطبيب وعدم احتوائها على الأدوية والمعدات كانت تقوم بدور يعتبر هاماً جداً اذا ما قورن بالحالة الصحية قبل انشاء هذه العيادة، ورغم ازدياد عدد السكان زيادة كبيرة، وانتشار العلم وازدياد عدد المتعلمين والمثقفين كما ظهر من ازدياد عدد المدارس والتلاميذ في القرية – فإنه ما زال لا يوجد في البلدة سوى هذه العيادة التي لا يزورها الطبيب سوى ثلاثة ايام في الاسبوع (الاحد، الثلاثاء، الخميس) ، وهذا غير كاف ابداً إلا أن الشيء الجديد في هذا المجال هو وجود ثلاثة اطباء في عيادات خاصة في احياء مختلفة من البلدة، وافتتاح صيدلية خاصة، ومما لا شك فيه ان هذا يساعد على رفع مستوى الحالة الصحية ومقاومة الامراض، والأخذ بيد المرضى ومعالجتهم، والتخفيف عنهم من عناء السفر الى جنين للتداوي، وتقديم العلاج الأولي السريع للحالات الطارئة قبل تحويلها الى الطبيب والاختصاصي او المستشفى في جنين . ونظراً لهذه الحالة الصحية في اليامون فقد انتشرت فيها بعض العادات للتداوي سواء بالاعشاب او ببعض الطرق والمعتقدات البدائية نوضحها كالتالي :

أ – التداوي بالأعشاب : كان أهل اليامون – كغيرهم من أهالي فلسطين – منذ القديم يتداوون بالأعشاب، وكانوا يجففون بعضها ذا الفائدة الطبية، ويحتفظون بها على

طول ايام السنة، في غير مواسمها لاستعمالها وقت الحاجة، وهذه بعض الاعشاب الطبية واستعمالاتها:

من المسالك البولية ، وطرد الريح من البطن .

١-الشيح: يستعمل بنجاح في حالات المغص المعوي والكلوي وإنزال الرمل.

٢- البابونج : يستعمل للمغص وآلام البطن والمرارة والعادة الشهرية.

٣- الزعتر : يستعمل مقويا للكبد، ولتسهيل عملية الهضم وفتح الشهية ومهدئاً للسعال.

٤- اليانسون يستعمل مسكناً للألم والمغص البطني، وطارداً للأرياح.

٥- الكمّون : يستعمل مسكناً للمغص وطارداً للأرياح وخاصة عند الاطفال الرضع.

٦- الخردلّة: تستعمل ضد ألم المفاصل، وضيق التنفس .

٧- قشر الرمان : يستعمل ضد امراض اللثة والاسنان والمغص والاسهال.

٨- النعنع: يستعمل ضد المغص والصداع وطارداً للارياح.

٩- الميرمية: تستعمل ضد المغص والاسهال والارياح

١٠- بذور الحلبة: تستعمل لادرار الحليب عند المرأة المرضع.

١١- البصل : يستعمل ضد ضيق التنفس ، وضد تجلط الدم، ومهدئاً ، وكذلك يستعمل في علاج الدمامل .

١٢- الثوم: يستعمل في حالات الربو وضيق التنفس ، وضد ارتفاع ضغط الدم.

١٣- الشحّيم (الثوم البري): يستعمل ايضاً ضد ارتفاع الضغط وتصلب الشرايين.

١٤ - فقوس الحمير : ضد مرض اليرقان.

١٥- اللوز المرّ: يستعمل مهدئاً للاعصاب، ومضاداً لحموضة المعدة، ومقوياً للنظر.

١٦- القيسوم : مهديء عصبي، ومضاد لمرض السكري.

١٧- الترمس : مضاد لمرض السكري.

١٨- بذور القرع: يؤكل نيء غير محمص للقضاء على الدودة الوحيدة.

١٩- العسل : يستخدم لاغراض كثيرة: فهو مقوي ومضاد للربو وامراض البرد، ومضاد للامساك.

٢٠- زيت الزيتون : ايضا يستعمل لكثير من الاغراض، فهو مقوي للجسم، ومنشط للكبد، ومليّن للمعدة، ويساعد على انزال الرمل من الكلى، ويستعمل للتدليك في حالات الرضوض والملخ، والتهاب الاذن.

ب- بعض المعتقدات والطرق في المعالجة :

١- اليرقان : يعالج بالفصد في مقدمة جبهة المريض

٢- الآلام : تعالج بالكي بالنار.

٣- امراض البرد والسعال : تعالج بكاسات الهواء (الحجامة)

٤- امراض نفسية وعصبية : بالتمائم والتعاويذ .

٥- العقم : بالتمائم والتعاويذ والحجب .

٦- الجروح : يستعمل له (النّجج) وهو رواسب دخان الطابون على سقفه الخشبي (فيوضع على الجرح ليشفيه . وكذلك عشبة خاصة تدعى (عشبة الجرح) .

٧- الكسور : تجبير عربي، وربط العضو المكسور بمساعدة قصبات لتثبيته.

٨- ألم الاسنان : يستعمل قشر الرمان . واذا لم ينفع في ذلك، يقوم الحلاق بخلع السن بواسطة كماشة، او خيط قوي .

٩- ازالة الثالول : يستعمل (القطع) وذلك بأن يأخذ غصن زيتون طري لكل ثالولة، ويمرر عليه الموس سبع مرات، ثم يدفن في الارض ، ويمر المريض فوقها، فيعتقد الناس ان الثالول سيزول عندما تذبل عيدان الزيتون.

١٠- الحصبة : يلبس الطفل المصاب ملابس حمراء ويلف بالملابس والأغطية حتى لا تنعكس الحصبة للداخل وتصيب عظامه . (وهذا طبعاً اعتقاد لا اساس له من الصحة).

١١- الوعكة الصحية: اذا اصيب شخص بوعكة صحية وخاصة اذا كان حسن المظهر.

او مر أمام شخص معروف بالحسد، فتقوم والدته او جدّته (بتبخيره) وذلك بقراءة بعض القراءات ضد الحسد والعين؛ ورش الملح على النار، واشعال البخور.

١٢- الآم المفاصل والارجل (تعالج) بالضرب باليد من احد ابناء او بنات عائلة ابو الهيجاء وكثيراً ما كانت النساء تأتي عند والدتي وتضربهن على ارجلهن ، فإذا ظهرت نمنمة في ايديها فتؤكد لها انها مصابة بالريح وانه خرج منها.

١٣- القيء: يعتقد الناس أن القيء يكون بسبب برد اصاب المعدة، ولذا يلجؤون لغسلها، وذلك عن طريق تناول شربة ملح انجليزي.

تطور التعليم في اليامون

من المعروف ان العهد العثماني كان يمتاز بانتشار الجهل بين الناس، فلم تكن هناك مدارس ولا كتاتيب، بحيث كان وجود شخص يفك المكتوب (يقرأ الرسالة) امراً نادراً، وكان مثل هذا الشخص - إن وجد - يحظى بمكانة عالية بين أهل القرية. ولكن منذ بداية القرن العشرين بدأت تظهر بوادر ثقافية تمثلت في تأسيس اول مدرسة في اليامون ، . وبدأ ظهور الكتاتيب التي كانت تقوم بتعليم الاولاد بطرق بدائية مقابل اجر غالبا ما يكون عيني وليس نقدي .

فقد ذكر الكتاب السنوي للمعارف العثمانية ١٣٢١هـ والموافق ١٩٠٣الميلادي انه تم تأسيس ثلاثين مدرسة في قضاء جنين منها مدرسة واحدة في قرية اليامون، ولم يستطع احد من شيوخ القرية ان يحدد لي مكانها، ولكن في العشرينات من هذا القرن يذكر هؤلاء الشيوخ ان المدرسة كانت في جامع القرية القديم ثم انتقلت الى دار الشيخ احمد المقابلة والمجاورة للجامع، وبذكر المعاصرون لها انه كان يدرس فيها اربعة مدرسين، وقد تخرج فيها عدد من التلاميذ المثقفين الذين لا يزالون حتى الآن يجيدون القراءة والكتابة، بل ويتقنونها أفضل من تلاميذ المرحلة الثانوية الحالية .

وعندما عين السيد عبد الكريم الكرمي مديراً للمدرسة كان له الفضل بالتعاون مع أهل اليامون في بناء المدرسة الحالية للقرية، والتي أصبحت تحتوي على فصول مستقلة للتدريس ، وقد تبرع السيد ابراهيم يوسف فريحات رئيس لجنة اليامون آنذاك بقطعة ارض من ملكه الخاص استبدلت بها قطعة الارض التي اقيمت عليها المدرسة، وقد ظلت هذه المدرسة على حالها. وتطور التعليم يسير ببطء شديد بحيث لم تشهد تطوراً يذكر طوال نصف قرن من الزمن، بحيث انه في سنة ١٩٤٤م كانت وما تزال هي المدرسة الوحيدة في اليامون، وكان يدرس فيها اربعة مدرسين فقط، وكانت في المرتبة الخامسة من حيث الأهمية في قرى قضاء جنين ، فقد كان في قرية يعبد ٩ مدرسين وفي عرابة ٨ مدرسين، وفي قباطية ٦ مدرسين، وفي سيلة الحارثية ٥ مدرسين. ولكن اهالي اليامون ادركوا ان هذا العدد من المعلمين لا يكفي لتعليم ابنائهم، فعيّنوا معلمين آخرين على حساب اهل القرية الخاص، وقد ظل هذا النوع من المعلمين الذين يتقاضون رواتبهم من اهل القرية مستمراً حتى بداية الستينات من هذا القرن، فقد كان في عهد تلمذتنا كل من الاستاذ حسن الحاج صالح عباهري والاستاذ عبد الرؤوف فياض جردات معلمين على حساب اهل القرية براتب مقداره سبعة دنانير شهرياً، إلا أنه بعد ذلك التاريخ الغي هذا النوع من المعلمين .

وازداد عدد الفصول في المدرسة فأصبحت تدرس حتى الصف السابع ومن كان ينهي هذا الصف كان بإمكانه ان يعيّن مدرساً او يتابع دراساته الثانوية في جنين مركز القضاء. ومن اوائل من عيّنوا مدرسين بشهادة الصف السابع السيدين راتب فارس ابو حسن وامين محمود ابو علي هيجاوي، والاستاذ محمد القيسي من قرية العرقة .

وازداد بذلك عدد الذين اصبحوا يجيدون القراءة والكتابة فقد كانوا في الاربعينات لا يتجاوزون المئة رجل بينما اصبحوا في بداية الستينات حوالي ٣٥٦ رجلاً عدا عن التلاميذ الذين كانوا في مدرسة اليامون ومدرسة جنين الثانوية الذين يقدر عددهم بحوالي ٥٥٠ تلميذاً .

وأصبحت مدرسة اليامون تشتمل على تسعة فصول حتى الصف الثالث اعدادي، اما المرحلة الثانوية فكان يدرسها التلاميذ في مدينة جنين. وكان يأتي للدراسة في مدرسة اليامون التلاميذ من القرى المجاورة لعدم توفر صفوف التعليم فيها بعد الصف السادس الابتدائي، وخاصة من قرى العرقة وكفر ذان والهاشمية، وبعض ابناء البدو المقيمين في اراضي اليامون.

وكان فيها مكتبة متواضعة تشتمل على عدد لا بأس به من الكتب المناسبة لمستوى التلاميذ، وكان فيها ملعب لكرة السلة ولكرة الطائرة، وكثيراً ما كان يفوز فريقها ببطولة القضاء واحياناً ببطولة اللواء .

وكان التلاميذ يصطفون صباحاً في صفوف منتظمة ويقومون بتأدية بعض التمارين الرياضية، ثم ينشدون الأناشيد الوطنية والقومية، وكان النشيد الدائم هو نشيد عاش المليك :

عاش المليك ، عاش المليك ساميا مقامه، خافقات في الأعالي اعلامه

وفي فترة الخمسينات وبعد انطلاق الثورة الجزائرية ضد الاستعمار الفرنسي كان التلاميذ ينشدون نشيد الثورة الجزائرية وهو نشيد قسماً :

قسماً بالنازلات الماحقات والدماء الزاكيات الطاهرات
والبنود اللامعات الخافقات في الجبال الشامخات الشاهقات
نحن ثرنا فحياة او ممات وعقدنا العزم ان تحيى الجزائر
فاشهدوا، فاشهدوا

وكان بجانب هذه المدرسة الحكومية مدرسة ابتدائية اخرى تشتمل على ستة صفوف ابتدائية حتى الصف السادس ابتدائي تابعة لوكالة غوث اللاجئين، بالإضافة الى كون الدراسة فيها مجانيه كان يوزع على تلاميذها الملابس والحليب والاكل.

اما بالنسبة لتعليم البنات فقد ابتدأ متأخراً بالنسبة لتعليم الذكور، حيث ان اول مدرسة للإناث اسست في بداية عهد المملكة الاردنية الهاشمية، وقد ابتدأت بصف واحد ثم صفين الى أن وصلت الصف الخامس الابتدائي ١٩٥٧م، وكانت التلميذات يتابعن دراستهن في الصف السادس في مدرسة الذكور المجاورة. أما الصفوف الاعدادية فكانت التلميذات مضطرات لمتابعتها في مدينة جنين بالرغم من وجود هذه الصفوف في مدرسة اليامون الاعدادية للبنين، بالرغم من قلة عدد البنات، وذلك لأنه لم يكن يسمح بالاختلاط بين الذكور والاناث، ثم تطورت هذه المدرسة واصبحت تدرس حتى الصف الثالث اعدادي.

وإلى جانب هذا التعليم الرسمي، كان هناك التعليم الشعبي في الكتاتيب، حيث كان الأولاد يتعلمون على يد الشيخ الذي غالباً ما كان مؤذن القرية أو إمام الجامع، وكان الاولاد يدفعون الأجرة بيضا او خبزاً او زيتوناً، وقليلون هم الذين كانوا يدفعون نقوداً. وكان الأولاد يجلسون في غرفة واحدة على الارض وقد فرشت بالحصير، ويمتازون بالفوضى والضوضاء، والشيخ جالس بينهم يلوح بعصاه، وكان التعليم يعتمد على التلقين والترديد بصوت عال، وكان المار من جانب غرفة التدريس يسمع اصواتهم وهم يرددون ما يقوله الشيخ عدة مرات حتى يحفظوا ما يريدهم ان يحفظوه وغالباً ما كانت مواد التعليم تكون تحفيظ القرآن والأحاديث النبوية وبعض الأناشيد وقواعد النحو الصرف، وأقدم من كان يعلم الاولاد بالكتّاب وما زال يذكره كبار السن في القرية هو الحاج عيسى حمّو.

فيقول السيد خليل صالح غنمة [1] انه كان يتعلم وهو طفل صغير، عند الحاج عيسى حمّوه، وكان معه حوالي ٢٠-٣٠ طفلاً آخرين، وانهم تعلموا الألف باء، والقراءة، والقرآن والحساب، ولكن كانوا يقومون بتأدية اعمال اخرى خاصة للشيخ، فقد كانوا يقومون بتنظيف القمح المعد للطحن من الاوساخ والحصى المخلوط به، اما عن الأجرة فيقول انه كان يطلب من احد الأولاد ان يحضر صحنا من الرصيع، ومن آخر بيضة ورغيفاً، ومن ثالث دجاجة . . وهكذا، ولم يذكر انه كان يتقاضى نقوداً اجرة لتعليمه.

ورغم بداءة الطريقة التي كانت تستعمل في التعليم فإن الأولاد كانوا يحصلون على معلومات عميقة وكافية في علوم اللغة والدين، وقد أنشد لي الشيخ خليل صالح غنمة

(١) مقابلة مع الشيخ خليل صالح غنمة، مولود ١٣٠٣ هـ.

قصيدة تعلمها من الشيخ عيسى حمّوة قبل أكثر من مئة سنة لحفظ الحروف الهجائية، وهي على طريقة ألفية مالك في النحو، وتخليداً لذكرى هذا الشيخ العجوز الذي تجاوز المئة عام من عمره، ويروي لي أحوال اليامون منذ نعومة أظفاره، فقد رأيت أن أقوم بتدوين هذه القصيدة المليئة بالحِكم والعبر، وهي:

عَ الألف والَفت الولفِ	مثل وليفي مالقيتش
عَ البا بدينا بمحمد	صلّوا عليه ياحضار درويش
عَ التا طيور علت	نزلت ما عليها ريش
عَ الثا ثمرة الدنيا	غير الدراهم وما فيش
عَ الجيم يا جميل	أبو سوالف شبه الريش
عَ الحا يا احمد محمد	صلّوا عليه يا دراويش
عَ الخا خليل ما بنساه	عَ طول المدّة واحنا نعيش
عَ الدا دارٍ جفتك	وابعد عنها وما تجيش
عَ الذا ذلٍ للهوى	ودعاني للفرش عشيش
عَ الرا يا رايح الدار	خذ سلامي ولا تخبيش
عَ الزين يا زلّين اقدامي	ندعي عليهن بالطبطبيش
عَ السيّن يا سيّار الحجل	واضع للزين خراخيش
عَ الشّين شالوا وحملوا	كوكر ظعنهم وما اعلمونيش
عَ الصاد خذلك وصيّة	مع غير جيلك ما تمشيش
عَ الطا طواني وطويته	كما يطوى المنجل حشيش
عَ الظاد ظنيت بنفسي	دهر مضى ما يجيش
عَ العين عميت عيوني	ندهت بصوتي ما جونيش
عَ الغين صرنا نغوى له	كما نغوى الحجر بالهيش
عَ الفاء فقير وحداني	متحير بأمره كيف يعيش
عَ الكاف ضربني بكفه	ودعاني عالفارش وعشيش

عَ اللام لملمهم ظعنّا ولا تونيش

عَ النون نار القلب يا ناس ذللها ومشيش

عَ الهـا يا همّ عليّ ما يشيله جمل ولا قديش

ومن الشيوخ الذين تعلمنا على ايديهم في الكُتاب الشيخ مصطفى مرعي مؤذن القرية آنذاك.

وقد تطور التعليم في اليامون تطوراً ملحوظاً، مواكبا للتطور العلمي والثقافي والتعليمي في مختلف انحاء المملكة، حيث أصبحت تضم حالياً اربع مدارس كبيرة للذكور والاناث تحتوي على عدد كبير من التلاميذ والمدرسين والمدرسات، وهذه المدارس هي:

١- مدرسة ثانوية للبنين يمتد فيها التعليم حتى نهاية المرحلة الثانوية في فرعيها: العلمي والادبي، وقد اقيمت على ارض حرشية في البرانس على بعد كيلو مترين من القرية، وتقع على الشارع السلطاني المؤدي الى مدينة جنين مركز اللواء، وهي تشمل على ١٨ حجرة للتدريس، ويدرس فيها ٢١ معلماً، ويلغ عدد تلاميذها ٥٥٠ تلميذ.

٢- مدرسة ابتدائية للبنين حتى الصف السادس ابتدائي، اقيمت في الجهة الشمالية الغربية من البلدة على الطريق المؤدي لقرية سيلة الحارثية، وهي تشتمل على ٢٠ حجرة للتدريس، ويدرس فيها عشرون مدرساً، وعدد تلاميذها ٧٦٥ تلميذاً.

٣- مدرسة ثانوية للبنات يمتد فيها التعليم حتى الصف الاول الثانوي، وهي في المدرسة القديمة للبنين، ويدرس فيها ١٣ معلمة، وعدد حجراتها ١١ حجرة، وعدد تلميذاتها ٣٣٣ تلميذه.

٤- مدرسة ابتدائية للبنات تتكون من ١٣ غرفة منها ٤ غرف مستأجرة، ويدرس فيها ١٢ معلمة، وعدد تلميذاتها ٤٤٤ تلميذة.

ومن ملاحظة هذه المدارس وعدد تلاميذها ومدرسيها يظهر بوضوح مدى التقدم في مجال العلم والتعليم، فبينما كان عدد التلاميذ في الستينات ٣٦٥ تلميذاً نجده حالياً يصل الى حوالي ١٢٦٥ تلميذ، وبينما لم يكن عدد الحجرات يزيد عن إحدى عشرة حجرة نجده الآن حوالي ٤٠ حجرة، وبينما لم يكن عدد المعلمين يتجاوز الاثني عشر معلماً نجده الآن يتجاوز الاربعين معلماً.

اما بالنسبة لتعليم البنات فبعد ان لم يكن في اليامون سوى بضع صفوف تحتوي على عدد قليل من التلميذات كان يدرسهن ٤ معلمات نجد انه الآن يوجد مدرستان للبنات احداهما

ابتدائية والأخرى ثانوية، يبلغ عدد حجراتهما حوالي ٢٥ غرفة يدرس بها ٢٥ معلمة، ويصل عدد تلميذاتها الى حوالي ٨٠٠ تلميذة.

ومنذ البداية كان الأهالي يولون اهتماماً خاصاً وكبيراً بتعليم ابنائهم تعليما جامعيا في جامعات الدول العربية ولا سيما جامعة دمشق والاسكندرية والجزائر بحيث كان الأب يبذل قصارى جهده لتأمين الأموال اللازمة لتدريس ابنه في الجامعة، حتى ان البعض منهم كان يضطر للافتراض او بيع المحاصيل قبل أوانها للإنفاق على أبنائهم، وذلك من اجل ضمان مستقبل افضل لهم سواء من الناحية المادية او الاجتماعية.

وقد اتسع مجال التعليم العالي بين ابناء اليامون في مختلف التخصصات ومن مختلف الجامعات: الاردنية، والعربية والاجنبية، حتى اصبح عدد الجامعيين بالمئات، كما ان هناك اعداداً من خريجي المعاهد العليا وكليات المجتمع، وكثير منهم يعمل في السعودية ودول الخليج العربي والجزائر.

مدرسة اليامون الابتدائية

تقاليد الموت

يؤمن اهل اليامون مثل غيرهم من المسلمين ان الموت حق، ولا بد ان يذوقه كل انسان مهما حاول اخذ الحيطة والحذر، ويعتقدون ان الموت يوم الجمعة وفي رمضان او في الحج او في القدس او في مكة يعني ان الميت من الصالحين الذين سيخفف الله عنهم عذاب القبر، ويعتقدون ان الانسان المسلم اينما توفي وحيثما دفن جسده فإن روحه ستعود الى مقابر المسلمين لتجتمع مع ارواح المسلمين.

واذا اصيب الشخص بمرض عضال الزمه الفراش، وبدأ يحتضر (ينازع) وادرك من حوله ان الساعة قد ازفت، وأن (ورقته قد سقطت) يجتمع حوله الاهل والأقارب، ويطلبون إليه أن يوصي وصيته ان اراد، ومعظم الناس يوصون بالأ يبكي احد عليهم، وبتوزيع الصدقات للفقراء عن ارواحهم، ويرجونهم المسامحة عما كان قد يدر منهم من إساءة.

واعتاد الناس ان يضعوا في فمه اثناء الاحتضار بضع نقط من الماء لاعتقادهم ان الروح تخرج من الفم، ولذلك يجب ترطيبه حتى يسهل خروجها. وعندما يموت الرجل يسارع أهله لدفنه، لأنه كما يقولون : (اكرام الميت دفنه)، فيقوم البعض باحضار الخطيب لغسله، والتابوت من الجامع، والبعض الآخر يقوم بشراء العطور وملابس الموت التي هي عبارة عن سروال وثوب وطاقية وزنار من الشاش الأبيض، ثم الكفن الذي هو عبارة عن قطعة من الشاش الابيض ايضاً طولها ٥-٦ امتار. ثم يؤخذ الميت الى المغسل حيث يقوم الغسّال بغسله.

ويضع قطعا من القطن في جميع فتحات جسمه لمنع خروج السوائل والاوساخ منها، ويرش عليه العطور، ويلبسه الملابس البيضاء، ويلفه في الكفن، ثم يوضع في التابوت ويغطى بواسطة حرام او بطانية، ثم يؤخذ الى الجامع او اي مكان آخر للصلاة عليه صلاة الجنازة وهو ممدود بحيث يكون رأسه جهة الشمال ورجلاه جهة الجنوب واتجاه وجهه ايضاً جهة الجنوب، وعند الصلاة عليه يوضع رأسه جهة الغرب ورجلاه جهة الشرق ويدار وجهه جهة الجنوب (القبلة).

وبعد ذلك يحمل الميت الى القبر ويتسابق الناس للمساهمة في حمل النعش (التابوت) والسير في موكب الجنازة، وغالباً ما يتقدم الدراويش الموكب وهم يدقّون العدّة وينشدون الأناشيد الدينية، وكثيراً ما تروى حكايات وأساطير عن جنائز ونعوش بعض اصحاب الكرامات والصالحين؛ ومن ان النعش يطير لوحده، أو أنه خفيف جداً أو أنه يؤخر الناس في

سيرهم، وهذا كله للدلالة على صلاح الميت او طلاحه، وفي المقبرة ينزل شخصان الميت من التابوت الى القبر وهو مغطى بالبطانية ويضعون بجانبه نوعاً من الأعشاب ذات رائحة زكية يعرف بالفيجن، وعادة يكون طول القبر مترين وعرضه حوالي ٦٠ سم، ويساهم جميع الحاضرين بوضع التراب على القبر، وبعد اتمام عملية الدفن يجلس رجل معروف بالترتيل ويبدأ بالقراءة على الميت بعض الآيات الكريمة او الأقوال الدينية، مثل :

« اعلم يا ابن آدم أن الموت حق، ودخول القبر حق، ولا تدري نفس بأي ارض تموت. اذا جاءك الملكان الرؤوفان الرحومان ويسألان من انت؟ ومن ربك؟ ومن دينك؟ ومن نبيّك؟ وما قبلتك؟. فقل لهما: انا عبد الله، الله ربي ومحمد نبيي والاسلام ديني والكعبة قبلتي وأنا مت على قول اشهد الا لا إله إلا الله واشهد ان محمد رسول الله».

وبعد ان ينهي مواعظه وتلاويه، يصطف اهل الميت صفاً واحداً ويمر جميع الحاضرين من أمامهم مصافحين ومعزّين قائلين : «يسلم راسك» أو « عظّم الله أجركم» ويجيب أهل الميت قائلين : «راسك سالم» او (آجركم الله)، ثم يتقدم شخص من الأصدقاء او العائلات الأخرى ويدعو اهل الميت لتناول الطعام في منزله، وبعدها يذهبون الى منزل الميت او احد اقربائه او الى ديوان العائلة، ويفتحون (بيت الأجر) لقبول التعازي، حيث يشربون القهورة السّادة والدخان لمدة ثلاثة ايام بلياليها، وبعد ان يغلق بيت الأجر يذبح اهل الميت ذبيحة تدعى (ونيسة) ويوزع لحمها صدقة على الفقراء يوهب أجرها للميت. وبعد مرور اربعين يوماً على الوفاة يحيي الأهل هذه الذكرى المعروفة (بالاربعينية) فيقرأون القرآن ويوهبونه ثوابه، ويذبحون ذبيحة اخرى تدعى (الاربعينية (او عقيقة الاربعين) وتوزع على الفقراء.

وتقوم النسوة بتوجيه رأس الميت للشمال ورجليه للجنوب ويجلسن حوله يبكين وينحن، ومنهن من تمزق ثيابها، ومنهن من تبكي على الصّمت ثم يقمن بإخاطة ملابس الوفاة، ويعملن على تسخين الماء للغسل، ثم يسرن وراء الجنازة وخلف الرجال وهن يبكين ويصرخن بأصوات مرتفعة، ويقمن بتمزيق الشعر والملابس وضرب الصدر ولطم الوجه والخد. وفي المقبرة يجلسن حول التابوت على شكل حلقة وتأخذ احداهن او اثنتان بالنواح وقول القصائد الحزينة التي تعبر عن مدى الحزن العميق على وفاته، ويعددن مناقبه وخصاله الحميدة، وبقية النسوة يرددن وراءها بنفس الاسلوب، ولو ان ذلك محرم شرعا ومن اكثر اغاني النواح تأثيراً في النفس تلك الاغاني التي تصور فجيعه الزوجة الغريبة بموت زوجها او ابنها، فتقول :

واقف عَ الجبل الشمالي [1]

وأنا قطيعة وخيّي مالي

يا مين يرد خيّي عليّ

وبعد ذلك يذهبن الى القبر لمدة ثلاثة ايام للعناية به وتنظيفه وتنظمه، وعندما يأتي يوم الخميس الأول بعد الثلاثة ايام الاولى تعمل النساء الزلابية والعوّامة ولقمة القاضي والكعك بالحلبة والكركم والعصفر، فتأتي النساء لتعزية نساء الميت وتحضر كل منهن كيساً من الطحين وكمية من الأرز، وتأخذ قطعة او اكثر زلابية وغيرها، وعند المساء يغلق الخميس وتنتهي مظاهر الحزن حتى يحين موعد الاربعين.

(١) يسرى جوهرية، الفنون الشعبية في فلسطين.

اعتقادات خرافية

١- الغولة : يعتقد الناس بوجود الغولة، وخاصة في الاماكن المهجورة، او شديدة الظلمة، او في الاماكن التي قتل فيها اشخاص، ويصفونها بهيئات مخيفة وخيالية.

٢- ام رجل مسلوخة : وهي تشبه الغولة، وتوجد في الأزقة والطرقات الضيقة.

٣- طاسة الرعبة : وهي طاسة من النحاس مكتوب عليها آية الكرسي، فإذا اصيب شخص بخوف مفاجئ (رعبة) فيسقونه الماء منها، فتزول عنه حالة الرعب.

٤- شعير المولد : عندما يحيي شخص ذكرى المولد النبوي الشريف، فيضعون كمية من الشعير والماء وسط حلقة الذّكر، وبعد الانتهاء من قراءةالمولد يوزعون هذه الكمية على الحاضرين، لأنها اصبحت مقدسة ومباركة فتستعمل في البخور وعلاج بعض الحالات المرضية وخاصة الحسد والعين.

٥- المرور عن العتبة ليلا : عادة غير مستحبة، وقد تلحق الاذى بالشخص.

٦- شرب البنت البكر للقهوة : يعتقد ان ذلك يمنع نزول الدم في ليلة الدّخلة.

٧- شرب البنت الليمون : يعتقد انه ينشف دمها.

٨- قطع الأشجار المجاورة للقبور ومقامات الاولياء : إن ذلك يلحق الأذى بفاعلها، وأن من يقطعها سيقطع نسله من بعد.

٩- العطس : اذا عطس شخص فيعتقدون ان روحاً شريرة خرجت من جسده.

١٠- النمنمة : نمنمة اليد اليمنى يعني ان شخصا عزيزاً سيسلم عليها، اما نمنمة اليد اليسرى فتعني ان شخصاً كارها ومعاديا سيسلم عليها.

١١- الخرز : يعتقد الناس ان الخرزة الزرقاء تقي من الحسد والعين. وكذلك هناك خرزة الحليب التي اذا وضعتها لمرأة المرضع في عنقها ازداد ادراد الحليب عندها.

١٢- الغراب والبوم : رؤية الغراب أو البوم مصدر شؤم، ومبعث للقلق والتردد في العمل.

١٣- التمائم والحجب : مفردها حجاب او حرز، يكتب على ورقة، وتثنى على شكل مثلث يحمله الشخص، ويوضع في البيت، حماية لحامله من العين والسلاح، والحب والبغض واتقاء مكائد الآخرين.

١٤- النظر الى البئر ليلاً او الى المرآة : الشخص الذي ينظر الى بئر أو مرآة ليلا وفي الظلام يصاب بشلل وجهي بسبب ضربة ملاك !

١٥- شحاد العين : يشفى شحاد العين اذا شحد المصاب خبزاً من جاره !

١٦- الروح : يعتقد الناس ان روح الميت تخرج من فمه .

١٧- طنين الاذن : طنين الاذن اليمنى يعني ان شخصا ما يتحدث عن صاحبها بالخير، اما طنين الاذن اليسرى فيعني ان الحديث شراً .

الأزياء الشعبية (اللباس)

أولاً ملابس الرجال:

١- العقال :

عبارة عن حبل اسود مجدول من وبر الابل او الصوف، يجعل على شكل دائرتين فوق بعضهما البعض، ويصنع بان تلف خيوط سوداء على مجموعة من خيوط اخرى لتعطي حبلاً اسود دائرياً مبروماً ويطوى طيتان فوق بعضهما البعض، ويتدلى من مؤخرته خيوط متوسطة السمك تسمّى (دلاّيات) وهو يوضع فوق الحطة او الشّماغ .

ويعتبر مكملا لقيافة الرجل، ويقترن بهيبته وشرفه، فإن اسقطه احد من على رأسه كان ذلك مدعاة للغيظ، ويجب الاقتصاص من المعتدي . والعقال علامة الرجولة، فإذا بلغ الفتى سن الرشد لبس العقال واصبح من الرجال الذين يعتمد عليهم . ويعتبر العقال الغليظ رمزاً للمركز الاجتماعي، فأصبح للبس العقال آداب وأصول توارثها الخلف عن السلف، فالشباب يلبسون العقال بوضعية مائلة فيقال له : «منعقر عقاله» وهذا دليل الرجولة والنخوة والشهامة ، أما الشيوخ فإنهم يضعون العقال في وسط الرأس بحيث يحيط به دون إمالة الى جهة معينة .

ويوجد عدة انواع من العقل :

أ- عقال السّنارة : ويكون كبير الحجم وصلباً، فتتدلى منه ٤ دلايات مصنوع من الصوف او القطن، ويكاد يكون خاصاً بالشباب .

ب- عقال مرعز: وهو من النوع الرفيع المصنوع من شعر الماعز، وتتدلى منه دلاية واحدة، وينتشر ايضاً بين الشباب .

ج- العقال الطوي: ذو شكل دائري وليس له دلايات ، وهو خاص بالشيوخ .

٢- الحطّة او الكوفية ، والشّماغ :

الحطة عبارة عن منديل كبير مربع الشكل طول ضلعه حوالي ٧٠ سم ، ذو لون ابيض ناصع، ويتدلى من اضلاعها الاربع شراشيب عبارة عن حبيبات من القطن المنسوج متصلة ببعضها بشكل سلسلة تدعى (الأهداب) وتجعل بشكل مثلث كبير وتوضع على الرأس .

اما الشماغ فهو قليل الانتشار في اليامون وهو يشبه الحطة الا انه اكبر منها، وهي كلمة تركية بمعنى لثام، طول ضلعها حوالي متر وعليها نقشات سوداء او حمراء ، وهذا الاخير يدعى الشماغ العراقي، وله حاشية على طول جميع اضلاعه، وتتدلى منه الاهداب.

٣- الطاقية :

عبارة عن غطاء صغير للرأس دائري الشكل مقعر من جهة الداخل الملاصقة للرأس. وكانت في السابق تصنع من القماش الأبيض ، ثم أصبحت تنسج من خيوط القطن او الصوف الرفيع، وهي من صناعة الفتيات. وأصبحت الطاقية تمثل أثمن هدية تقدمها فتاة لخطيبها او محبوبها، الذي كان يفرح كثيرا ويعتز بهذه الهدية ويعمل كل ما بوسعه لصيانتها.

٤- السّروال :

سروال طويل يصل حتى القدمين. ويتكون من اربع قطع : اثنتان جانبيتان للرجلين، وواحدة في الوسط تتدلى بين الرجلين، والرابعة تحيط بمنطقة الحزام، يوضع فيها قيطان قوي من الصوف او القماش المتين يدعى (الدكّة) وذلك لربط السروال على خصر الرجل وتثبيته حتى لا يسقط ، لأن ليس له ازرار او عراوي.

٥- القميص :

يضع عادة من قماش قطني لونه ابيض، وهو ذو اكمام طويلة وعريضة، وليس له قبّة حول الرقبة، وهو طويل جداً اذ غالباً ما يتجاوز الركبتين.

٦- الدّماية :

لباس طويل من العنق حتى الكعبين، ويلبس فوق السروال والقميص، ويتألف من قطعتين اماميتين، وقطعة للخلف ، وقطعتين اخريتين اماميتين، ثم قطعتين جانبيتين، وتكون من الأمام مفتوحة تماماً، اي غير مخيطة، ولا يوجد فيها ازرار، اذ انه عند اللبس يوضع احد طرفي الدماية الاماميين الذي يكون متصلا بقيطان تحت الطرف الآخر المتصل بقيطان آخر، ويمرر قيطان الطرف السفلي من فتحة صغيرة جانبية في الطرف الخارجي، ثم يلف القيطانان حول وسط الرجل ويربطان معاً ليشكلا حزاماً للدماية.

وللدماية بطانة داخلية نصفية من قماش ابيض عادي غير قطني ويكون لها فتحتان جانبيتان من اسفلها، ولها ٤ جيوب: جيبان جانبيان خارجيان، وجيب ثالث على الصدر من الداخل، ورابعة صغيرة خارجية بجانب السّرة، وتدعى (جيب السّاعة) .

وتصنع من الجوخ او الصوف او الحرير او القطن، او التركال، وهناك (الروزا) المصنوعة من التركال الابيض المصفر (البيج) .

٧- البيشت: وهو يشبه القشابية الجزائرية، يكون عادة من الصوف، وهو قصير، وله كُمّان طويلان، وفي جهته العلوية يتصل بغطاء للرأس يسمّى تجاوزاً (البخنق) ويلبس في الشتاء لاتقاء البرد، وليس له بطانة ولا جيوب.

٨- العباءة: عبارة عن لباس فضفاض ، يضفي على لابسه الأبهة والوجاهة، ويوجب له التقدير والاحترام، ولا يلبسها عادة الاّ علية القوم. ومنها ما يصنع من القماش العادي او الجوخ أو الحرير، ومن الوانها الاسود والقهوي. وتطرز بالحرير او بخيوط مذهبة على طول العباءة من الامام وحول الرقبة وعلى الكُمّين، ولا تلبس الا في المناسبات، وعادة لها كمّان عريضان وقصيران جداً، واحياناً بدون اكمام.

السيد يوسف عبد الكريم فريحات باللباس الشعبي يوم زفافه

والدا المؤلف : المرحوم عبد الكريم فريحات والمرحومة شريفة طه ابو الهيجاء
في لباسهما العادي وهو لباس أهل اليامون

ثانياً: ملابس النساء:

١- الحطة : وهي مربع كبير جداً تطوى على شكل مثلث كبير، توضع على الرأس بحيث يكون رأس المثلث على الظهر، ويلف طرفاه حول الرقبة ويربطان خلفها. منها الاسود والابيض.

٢- المنديل : قطعة مربعة من الحرير الاخضر المزركش بخيوط ذهبية ، يطوى على بعضه عدة طيّات حتى يشكل رباطا مستطيلا طويلا وضيقاً، ثم يلف على الرأس ويربط على الجبهة.

٣- الزنّار : قطعة كبيرة من القماش قد يكون من الحرير لونه احمر مذّهب، يطوى بشكل لفة مستطيلة طويلة جداً وضيقة، ثم يلف حول الخصر.

٤- الثوب او الفستان : وعادة يبدأ من العنق حتى الكعبين، ويتكون من جزئين : الجزء العلوي الذي على الصدر، ويكون مفتوحاً من الأمام ويقفل بواسطة ازرار وعراوي، وليس له قبّة، والجزء السفلي يكون فضفاضا ومزمزماً عدة طيات صغيرة، بحيث لا يعيق حركة المرأة ، وعادة فيه جيب لحفظ النقود.

٥- السروال (الشنتيان) : وهو سروال طويل يصل الى الكعبين، وهو فضفاض جداً من الاعلى ، يربط من الاعلى بالدكّة المتينة، ومن الاسفل يربط برباط مطاط ضاغط على الكاحل لتشبيته ، ويختلف عن سروال الرجل بأن ليس له قطعة وسطى تتدلى بين الساقين.

٦- الشلحة : لباس داخلي، تحت الثوب، تصنع من القماش الناعم (الفسترة) وتكون اخف واقصر واضيق من الثوب، وهي تمنع التصاق الثوب بالساقين، وتمنع لفّه، فتسهل الحركة.

مراسم الزواج

تختلف مراسم الزواج في القرية عنها في المدينة، والزواج من اسعد ظواهر الفرح الشعبية، وتمر اجراءات الزواج بمراحل متتالية هي :

- اسلوب البحث عن العروس :

عندما يكبر الابن ويلحق بالرجال يبدأ الأهل يفكرون في امر زواجة، ليفرحوا به، ويقضون الليالي والأيام جادين في البحث عن شريكة حياة ابنهم، فيريدون له بنت (أصل وفصل)، ويسألون عن امها وعن جدّتها ليتأكدوا ان أصلها من النساء شريف وعفيف، لأنهم يؤمنون بأن (بنت الخواضة خوّاضة). وتأخذ الأم على عاتقها مهمة البحث عن العروس، فإذا ما وقعت انظارها على فتاة ما، فإنها تقوم مع بعض القريبات بزيارة لأهل هذه البنت، ليشربن فنجان القهوة في الظاهر، ولينقدن البنت خلقة وخلقا في حقيقة الأمر. فإذا حظيت البنت باعجاب ام العريس وموافقتها، اخبرت ام العريس زوجها بأن البنت زينة ومؤدبة، ومرتبة ومنظمة «وهيك البنات والا بلاش».

اي أنها تصلح ان تكون «ست بيت»، والعريس في هذه الاثناء يصغي بكلتي اذنيه، ويحملق بكلتي عينيه، بوجه محمر وقلب يخفق فرحاً ونشوة بسماع الحديث عن زوجة المستقبل. وليس امامة إلا ان يعلن رضاه وموافقته على رأي أمه (وما تعملوه أعمله، وما تخيطوه ألبسه) وهذا دليل الطاعة التامة، والتفويض الكامل، والموافقة على كل ما يقوم به أهله لصالحه.

- كيف تتم الخطبة :

يذهب عدد من الرجال الوجهاء يدعون (الجاهة) الى بيت والد العروس، فيقدم لهم فنجاناً من القهوة، فيضعونه على الارض، ويقولون : لا نشرب قهوتكم الا اذا لبيتم طلبنا!

فيجيبونهم: طلبكم غالي، ورخيص لكم، وابشروا باللى جايين عشانه.

فيقول احد اعضاء الجاهة « جئنا لطلب يد بنتكم فلانة الى ابننا فلا، طالبين القرب منكم»، فيجب ولي امر العروس: مبروكة عليكم اجتكم لا جزاء ولا وفاء وما ان تسمع النساء كلمة مبروك حتى ينطلقن بالزغاريد والأغاني. وإما ان يحدد موعد لكتابة عقد الزواج

ويسمى (املاكا)، او لا يكتب العقد وتدعى (الحطّة) او العطيّة، وكان العريس يقبل ايدي والده وصهره والمآذون.

- العلاقة بين الخاطبين قبل الزواج :

غالباً ما يقع اختيار الاهل على فتاة او عروس لم يسبق لابنهم ان رآها من قبل، ولكن رضي بها إطاعة لاهله وتنفيذاً لرأيهم، وقد يكون قد رآها في مناسبة ما مثل ذهابها الى العين لاحضار الماء، او اثناء مرافقتها لأهلها في مواسم قطف اللوز والزيتون.

ومنذ ان تصبح الفتاة مخطوبة للشاب، تمنع منعاً باتا من الظهور امامه او التحدث اليه، او الجلوس في مكان وجوده. وهكذا فإنه على الخطيبين ان يصبرا على هذا البعد من قرب، ومن الحرمان على باب البئر، ويبقى كل منهما يجهل صاحبه ولا يعرف عنه ادنى معرفة سوى كلام رسل الحب والعشق الذين غالبا ما يكونون من اخوة العريس او اخوة العروس الصغار. وعليه فإن حياة الشابين تكون مليئة بالقلق وحب الاستطلاع واستعجال يوم اللقاء، وتبقى خالية من عاطفة الحب حتى ليلة الزفاف او كما يسمونها (ليلة الدخلة). طوال فترة الخطبة يمنع على العروس ان تلفظ اسم خطيبها، ، لا يسمح للعريس ان يراها اثناء زيارته لأهلها، ولكن هناك بعض المناسبات التي يستطيع العريس رؤية خطيبته اثناءها، مثل بئر الماء او العين، او الحصيدة، او جني الثمار . . ولكن يبدو ان لدرب العين الفضل الاكبر في رؤية المتحابين والعشاق، حيث يقول الشاب لفتاته :

يا واردة عَ العين تا تملّي برميلك — مهما طلبت يا حليوة برمي لك

انا تْمنيت حالي ميّة برميلك — يمكن تتوهي وتشربي مني انا

او يقول لها :

يا واردة عَ البير — واسقيني بحفناتك

ماهيش حجة عطش — بدّي محاكاتك

- المهر :

ان المهر واجب شرعاً وعرفا، وهو حق للزوجة لا بد ان تأخذه، ولا يجوز مطلقا لوالد العروس او زوجها ان يأخذ منه شيئاً. ويعتقد الناس ان المهر هو المقياس الصحيح والمعيار الدقيق لمكانة البنت وقيمتها الاجتماعية، وجمالها، فكثيراً ما يتباهى أهل العروس بالمبلغ الذي دفع لهم، ويرددون ذلك في الأغاني الشعبية :

يا عـروس مـا خـذك إلا اللى قـدر　　رش فـلـوســـــــه رش المـطـر

واللي ما قدر على مهرك يا عروس　　ظـلـم عـــــــزّالـه ورحـل

بل أن بعض الأغاني الشعبية تبين ان العروس نفسها لا ترضى على الزواج الا بمهر مرتفع، فتقول :

افـرشـوا الحـارة مـصـاري(*)　　ليـــرضى عـــمّي وخـــالي

افـــرشـــوا الحـــارة شلونا　　لتـــرضى كل الحـــمـــولة

وقد يكون المهر باهظاً جداً يعجز العريس عن دفعه، فيضطر الى الاستفسار عنه من الخطية ويطلب مساعدته في رأيها، فيقول :

يا طولك طول عـود الزين لا مـال　　يا شـعـرك غلّب الجـدّال لا مـال

ابوك مـا رضي فـيك فـضـة ولا مـال　　فكيف الراي عندك والجـــواب؟

بل إن المهر قد يكون مرتفعاً مما يقف عائقاً وعقبة امام الشباب للزواج، فتنتشر العزوبية، فيعبرون عن استيائهم بقولهم :

على دلعـــونا يا مـــدلعنيـــة　　صـــاروا يطلبـــوا بالبنت مـيّـــة

صـــاح العّـــزابي يمّا ويا بيّ　　منلّي[1] مـصـاري اجـيب المزيونة

اما اذا كان العريس من اسرة غنية موسرة، فإنه يدفع المهر مهما كان مرتفعاً ويفوز بعروسه، ويتفاخر اهله بجاههم وغناهم، فيقولون :

غـالزنزلخـتي عـالزنزلخـتي　　ريتك يا حلوة من حظي وبخـــتي

بدّك ابادل ببـــادل ياخـــتي　　بدّك مـــصـــاري بدفع مليـــونا

وأحياناً لا يكون المهر نقودا، وانما يكون بدلاً بأخت العريس، ويعرف هذا «بزواج البدل» وهناك من تزوج مبادلة بابنته، اي انه تزوج عروساً مقابل تزويج ابنته لأخيها. وقد عبر الغناء الشعبي عن زواج البدل بقوله على لسان العروس :

(*) المصاري: النقود.

١- منلّي: مِن أين لي.

بدا لي في مـحـبـتكم بدا لي　　يا عـــود النّد يسـقـيكم بدالي

قـالت اعط اختـك لاخـوي بدالي　　وهذا الراي عندي والجـــواب.

ونظراً لما ينتج عن زواج البدل من مشاكل بين الازواج، وارتياط علاقة الزوجة بزوجها بعلاقة اخيها بأخت زوجها بحيث إذا حدث ان طلق شخص زوجته فإن اخوها سيطلق اخت زوجها، فقد بدأ الناس بالتخلي عنه وفي طريقه للزوال.

الاستعداد للعرس :

يذهب اهل العريس الى اهل العروس قبل فترة كافية يخبرونهم عن موعد الزواج، ويبدؤون معاً في تجهيز العروسين، وخاصة العروس، وكذلك لا بد للعريس ان يشتري لقريباته قطعا من القماش ليخطنها فساتين يلبسنها في عرسه، اذ ان كل واحدة من قريباته تنتظر (الهدم).

- **اسبوع الزفاف** : عادة يشترط والد العروس الا تخرج ابنته من منزله الا بالغناء والطبل والزمر وطخ البارود. وجرت العادة ان يقيم اهل العريس الحفلات والسهرات الليلية، تقضيها النساء بالرقص والغناء لمدة اسبوع، بينما يشترك الرجال في الثلاث ليالي الاخيرة، وفي ليلة الحنّاء وبعد ان يمضي جزء من الليل يقضيه الرجال بالدبكة والسحجة والنساء بالرقص والغناء. يتوجهون لإيصال الحناء للعروس، الذي يوضع في وعاء نظيف مزيّن بالزهور واوراق الليمون، وتبدأ احدى النساء بحناء العروس في الوقت الذي تطلق فيه النساء الاغاني والزغاريد التي تصف جمال العروس، وجمال الحناء على جسمها، وكذلك بعض الاغاني التي تذكر العروس بدار والديها، وتصف مقدار حبها وتعلقها بأهلها :

عَ اليـــوم يا رفـــيـــقـــة　　لـو الـشـــــــور بـايـديـنـا

كـــان قـــضـــينا العـــمـــر　　فـــي دار ابـــونـــا

قـــــولـوا لابـوي الـلـه　　يـــخـــلّـــي اولاده

اســـتـــعـــجل عـليّ　　واطـــلـــعـــنـي مـــن بـــلاده

وعادة تكون الحفلة في هذه الليلة حفلة كبرى يحيها اثنان او اكثر من المطربين الشعبيين، المعروفين (بالحدّائين)، ويستمرون في دبكاتهم واهازيجهم والحان النّاي العذبة حتى ساعة متأخرة من الليل.

- **يوم الزفاف** : وهو يوم مليء بالأعمال والمهمات، وفيه تصل استعدادات اهل العريس وفرحتهم القمّة. حيث يستيقظ اهل العريس في الساعات الاولى من صباح هذا اليوم للاستعداد لتأمين جميع حاجيات العرس بما فيها اعداد الطعام. ويعمل أهل العروس على تجهيز ابنتهم وتزيينها وتجميلها، وتلبيسها بدلة الصمدة البيضاء.

- **الحلاقة** : ويستدعي اهل العريس الحلاق الى منزلهم ليحلق شعر العريس الذي يجلس على كرسي وسط مجموعة من اصدقائه المقربين، واثناء عملية الحلاقة يغني الشباب من حوله بعض الأغاني ، مثل :

أ- زيّنه يا مزيّن تحت فيّ التين

يا ميمته فرحانه وقلبها حزين

ب- زيّنه يا مزيّن بمواس الذهب

لا توجع العريس عمنّه عزب

- **الحمّام** : وبعد ذلك يغتسل ويغيّر ملابسه القديمة التي غالبا ما يمزقها اصحابه رمزاً لإزالة جهالة العزوبية، وبعد خروجه من الحمام يغني له الرجال بعض الأغاني الخاصة بالحمام ، مثل :

أ- طلع الزين من الحمام رفرف يا طير الحمام (تكرر عدة مرات)

ب- مبارك حمامك يا زين يا اسمر يا كحيل العين

- **الزفة** : بعد ان ينهي العريس عمليات الزينة من حلاقة واغتسال وتغيير الملابس، يجلس في فناء واسع ويتصدر الجلسة، والرجال من امامه يغنون ويدبكون حتى يحين موعد الغداء ، وبعد ان يتناول جميع الحاضرين طعام الغذاء، يستعدون لزفة العريس، فيركب على فرس جميل يفرش على ظهره وفوق السّرج فستان من فساتين العروس الجديدة، يجلس فوقه وهو يحمل بيده مظلّة مزينة بالمناديل المشرشرة بالخرز والطرز، فيسير الرجال في مقدمة الموكب ببطء شديد، يتخلله توقف بين الحين والآخر لترقص امّه او خالته، او احدى قريباته امام الفرس، وتعمل على رش الملح والبخور على العريس درءاً للحسد والعين واثناء الزفة يطوفون معظم شوارع القرية.

- **زفة العروس**: بعد الانتهاء من مراسم زفة العريس، وفي حوالي الساعة الرابعة مساء تتوجه (الفاردة) الموكب الى دار والد العريس لاحضارها الى دار عريسها، ويقف الرجال باب دار والد العروس، بينما تدخل النساء عليها وهن يغنين ويزغردن :

ها هي احنا دار العريس هيناجينا ها هي قولوا لأم العروس تلاقينا

ها هي بقمقم الفضة والورد رشّينا ها هي لا عدو فيكم ولا فينا

فترد عليهن قريبات العروس :

ها هي اهلابيكم وسهلا بيكم ها هي يسلم العريس اللي جابكم

ها هي وان كان العريس جلاّبكم ها هي لا ضيم صابنا ولا صابكم

ثم يتقدم احد الرجال من ذوي العريس ويطلبون من والد العروس السماح لهم بأخذ عروسهم، ويظلون ينتظرون موافقة جميع اخوتها واخوالها واعمامها ووالدها، فيدخل هؤلاء على ابنتهم ويعطونها (النقوط) ثم يمسك بها والدها واحد اقربائها ويخرجانها ويركبانها على ظهر الفرس وهي مغطاة بشكل كامل بالعباءة.

ومن الأغاني التي تغنيها النساء في انتظار ركوب العروس :

ها هي واوعى يا عريس تندم عالمالي ها هي على عروستك حواجب قفالي

ها هي وشعرات ذهبية عّ حاجبين محنيه بنات بلدك ما في منها اول ولا ثاني

ها هي حواجب عروستك ميّة على ميّة تسوى اهل بلدك من الالف للميّة

وهنا تقول إحدى النساء أغنية على لسان العروس تعبر فيها عن حبّها لأمها وحزنها على فراقها، وتذكرها بأيام الصبا والطفولة، فتقول :

قالت العروس وهي طالعة سلموا ليعَ الدار وجيرانها

وسلموا لي على امي الحنونة يا ما ليالي ضمتني باحضانها

وأخيراً تركب العروس على ظهر الفرس، فتغني النساء اغاني شكر وامتنان لوالدها، فيقلن :

يخلف على ابو العروس يخلف عليه للأول

طلبنا النسب منه اعطانا غزال مصور

وترتدي العروس عباءة تلف بها جميع جسمها ، كما تسدل على وجهها منديلاً اخضر سميكا لا يبدو ما تحته، وتلف كفيها بمنديلن. ويمسك والدها باحد جانبيها ، ويمسك اخوها او احد اقربائها بالجانب الآخر حتى لا تسقط عن ظهر الفرس.

وعندما تدخل دار العريس تضع العروس كمية من الحناء وورقة ليمون خضراء على جانب الباب، رمزاً للتفاؤل، والتمني بأن تكون حياة العروسين كلها سعادة وخضرة.

وفي المساء، يذهب العريس رفقة الأصدقاء، وينفرد به احد الرجال المتزوجين يشرح له اسرار العلاقة الزوجية. وعند دخوله الى الغرفة التي فيهاالعروس يضربه احدهم كفّا على رأسه او ظهره، فيندفع بسرعة نحو العروس يرفع عن وجهها الغطاء الأبيض الشفاف، ثم يضربها كفّا على وجهها تعبيراً عن سيطرته عليها، ثم يجلس بجانبها.

ولا بد للعروس ان ترقص امام عريسها على ان تمسك بها امرأتان من صديقاتها، ويحركنها يمنة ويسرة، وتسمى هذه الرقصة (الجلوة) او (التخديرة) وتغني اثناء ذلك النساء:

تخـــــدّري اسم الله يا زينة يـاوردة جـــــــــوّ الجنـينـة

شـــوفي عـــريسك مـــاله يا أمـــيـــــرة يا بنت امـــارة

ثم يرقص العريس والعروس معاً رقصا بطيئاً على انغام الدربكة

- **الدّخلة**: وبعد قضاء بعض الوقت في صمدة العروسين معاً، تخرج النساء من عند العروسين ليفسحا لهما لاتمام مراسم الزواج، ويبقى العروسان منفردين في احرج واسعد لحظة في حياتهما. بينما يبقى اهل العريس واقفين خارج الغرفة ينتظرون خروج ابنهم منتصراً في امتحانه الاول، وبمجرد خروجه من باب الغرفة يدركون انه نجح في مهمة زواجه، فيطلقون البارود، وتزغرد النساء وتغني، ويقومون بعرض قطعة القماش التي عليها دم البكارة عند مدخل الباب حتى تراها جميع النسوة.

- **يوم الصمدة**: وفي صباح اليوم الثاني تجلس العروس بجانب العريس وتحمل طبقا فيه علب من الحلوى، وتأتي النساء لتهنئة العروسين وأهلهما، وتضع كل منهن مبلغا زهيداً من المال على سبيل (نقوط).

وعند الظهر يأتي اهل العروس وهم يحملون معهم غداء العروسين، المؤلّف عادة من خبز مسخن او صدر خروف محشي، وفي مساء هذا اليوم تنتهي مراسم العرس، ولكن تبدأ فترة التهنئة، اذ تبدأ الأسر بزيارة اسرة العريس حاملة معهاهدية رمزية عبارة عن سكر او رز او طقم فناجين، وتستمر مدةالتهنئة اسبوعاً كاملاً.

ليالي رمضان

ليس جميع الناس سواء في الإحتفال بشهر رمضان المعظم، بل هم في ذلك متفاوتون ومختلفون ايضا. ولقد كان المسلمون في العصور الاولى يحتفلون برمضان وبعودته احتفالا عظيما ويتجلى يه الانس والبهجة، وتتجسم فيه معاني الأخوّة والرحمة، وتكثر فيه العبادة والطاعة.

ولشهر رمضان مكانته المرموقة عند الامة الاسلامية وأهميته المتميزة في تاريخ الاسلام والمسلمين لما حظي به هذا الشهر من احداث وامجاد، وما اتسم به من ظواهر الخير والهداية، اذ في هذا الشهر الكريم انبثقت الاشعاعة الاولى من وحي الله تعالى على قلب محمد صلى الله عليه وسلم، وتفجر منه نور اضاء الكون وبّدد سحبه وظلماته، ففيه نزل القرآن الكريم هدى للناس وبيّنات.

ومنذ الليلة الاولى من ليالي رمضان يطوف المسحّر (الخطيب) في مختلف احياء القرية لايقاظ الناس لاعداد طعام السحور، ويسير عبر الازقة والطرقات يضرب على الطبل بواسطة قطعة كاوتشوك، وهو ينادي بأعلى صوته: يا نايم وحّد الله. ويستيقظ الناس ويعدون طعام السحور الذي لا بد ان يحتوي على (قمر الدين) المصنوع من المشمش لاعتقاد الناس بسهولة هضمه، وفائدته في اطفاء العطش اثناء الصوم.

وكان الاطفال يتبارزون في صيام رمضان ويمد كل منهم لسانه للآخر ليثبت صدق قوله، ويبرهن انه صائم، واذا كان احدهم لا يصوم ينشد له الاولاد ساخرين منه:

يا مـــفطر رمـــضـــان يـا مـــــــقـلـل دينـك

كـلـبـــتـنـا الســـــودا تقـــحّف مـــصـــارينك

وعندما يحين الغروب ويقترب موعد اذان المغرب يتجمع الاطفال في الحارات والأماكن المواجهة لمئذنة الجامع، يراقبون صعود المؤذن للمئذنه وهم على أحر من الجمر، وهم ينشدون قائلين:

أذّن يا خـــوجـــه خـــوجـــه تا اذبح لك جـاجـة عـــوجـــه

تـوكـلـهـــــا وتـنـام عَ رفّ الحـــــمـــــام

وما ان ينطق المؤذن بقول (الله اكبر) حتى ينطلق الأطفال فرحين مسرعين وهم يصيحون :

إفطروا يا صايمين عَ الرغيف قاعدين

ويتجمع افراد العائلة على مائدة الافطار المليئة بانواع مختلفة من المأكولات والتي لا بد ان تشتمل على صحن سلطة بالنعنع وصحن حمص مدمّس وغالباً صحن شوربة . وبعد العشاء يأكلون القطايف او الكلاّج ، وبعد ذلك يتوجه الرجال للمساجد لاداء صلاة التراويح . وفي الليلة السابعة والعشرين من شهر رمضان يستعد الناس لوداعه ، فيبدأون بصنع الحلوى (كالمعمول ، والحلق ، والكعك) ويحيي الرجال ليلة القدر ، ثم يبدأوون بإخراج زكاة الفطر ، وفي اواخر ايامه كان الاولاد يكثرون من ترديد هذا القول :

بكرة العيد وبنعيّد وبنذبح جاجات سعّيد

واسعيدّ ماله جاجات بنذبح بنته هالشقرة

عيد الفطر

عرف الانسان الاعياد منذ ان عرف الاجتماع ، وما من امة متحضرة كانت او بدائية ، شرقية او غربية ، متدينة او غير متدينة الا كان لها عيد او أعياد يبتهج الناس فيها ، ويتخذون لها مظاهر خاصة . وقد كان للعرب قبل الاسلام اعياد يحيطون بها ، وكانت تتمشى مع ما عرف عن المجتمع الجاهلي من الفساد والانحلال ، ولما جاء الاسلام وجمع شمل العرب ، ووحد بين معتقداتهم المختلفة الى دين واحد هو دين «التوحيد» استبدلوا اعيادهم بعيدين هما : عيد الفطر وعيد الاضحى .

ويمتاز العيد عن سائر الأيام بأن الناس جميعاً يبدلون ثيابهم القديمة بثياب جديدة ، او على الأقل ينظفونها ويعتنون برونقها ، ويتجملون بالروائح الطيبة ، ويأكلون ما لذ وطاب ويرتاحون من كدّ العمل ونصب الحياة ، وهذه هي المعاني الصغيرة التي تميز العيد عن غيره من الايام وهي عادات يرثها الخلف عن السلف ، وكل انسان يحاول ان يظهر بها ويتمسك بها حتى الفقير يحاول ان يقلد الغني فيها ما أمكنه ذلك .

اما المعاني الكبيرة التي يهدف اليها الاسلام بتعاليمه السامية من وراء العيد فهي ان يشعر المسلمون جميعا يوم العيد «بالوحدة» فجميعهم تربطهم العقيدة ، وفي يوم العيد يجددون هذه الرابطة ، اذ يشعرون انهم صاموا جميعاً ثم افطروا جميعاً في يوم واحد . وعيد الفطر هو بمثابة احتفال بانتصار الانسان المؤمن الذي ظل طوال شهر رمضان المبارك يجاهد نفسه ويجاهد طبيعته ، ويتصارع مع الشهوات والملذات والمغريات .

ومنذ الصباح الباكر يذهب الرجال لأداء صلاة العيد في جامع القرية ، حيث يتبادلون التهاني ، وبعد الانتهاء من صلاة العيد .

وفي هذا اليوم تهيج ذكريات أليمة حزينة في قلوب الذين امتحنتهم الاقدار في اقربائهم واصدقائهم ، وحرمتهم المنايا انسهم وقربهم ، فيتذكرونهم ويعتبرون ، ويرون ان الحياة ما هي الا جسر للمرور الى الحياة الباقية ، فتذهب النساء منذ الصباح الباكر الى «المقبرة» تحمل كل منهن الحلوى والكعك والحلق لتوزع على الفقراء والاولاد صدقة عن روح ذلك الميت ، ثم تطلب من احد الاشخاص المتعلمين الذين يحملون المصاحف ويتجولون في المقبرة لهذا الغرض ان يقرأ لها ما تيسر من آيات من القرآن الكريم ويهديها صدقة لروح ذلك الميت مقابل أجر يأخذه .

ثم تتجلى المشاعر الانسانية في احلى صورها فتبرز معانيها في تعاطف الناس وتراحمهم واحسانهم، فيذهب الرجال عند «النساء من قريباتهم، والمعروفات (بالولايا) للمعايدة عليهن، والرفع من معنوياتهن، وادخال البهجة والسرور على قلوبهن، ويقدمون لهن مبلغا معينا من المال (عيديه) ويتناولون عندهن الحلوى والقهوة والشاي، ولا تطول مدة الزيارة، لأن على الرجل ان يزور جميع «ولاياه» في ذلك اليوم. وفي ذلك اليوم يتناسى الناس احقادهم وضغائنهم، فتتصافى القلوب ويتسامح الناس فيما بينهم.

اما الاولاد فهم المحظوظون وهم السعداء في هذا اليوم خاصة، حيث انهم مرتاحوا البال، خاليي الذهن من كل الهموم والتعقيدات، فلا يعرف الحزن الى قلوبهم سبيلا، ولم لا يستغلون طفولتهم وصفاءها احسن استغلال، قبل ان يثقل الشباب كاهلهم بمشاكله، والهرم بهمومه واحزانه.

فيأخذ كل منهم مبلغاً من النقود من والدته ووالده وإخوته الكبار، ومن اخواله واعمامه، ويذهب مسرعاً الى المراجيح (الأراجيح) ليركب الارجوحة مع اصحابه، ثم يشتري البالونات والبارود، والالعاب الجميلة التي يلهو بها طول النهار والتي سرعان ما تتلف. ويتجمع الاولاد مجموعات مجموعات يتباهون فيما بينهم كل بما معه من نقود والعاب وهدايا، وعند المساء ينام الجميع نوماً عميقا هادئاً من شدة العناء والتعب لكثرة ما قام به من نشاط ولعب ولهو.

عيد الاضحى :

يقضي الناس هذا العيد كما يقضون عيد الفطر مع وجود اختلاف هو انه في عيد الفطر يكثر الناس من صنع الحلوى والكعك، اما في عيد الاضحى فإن الانسان القادر يقوم بذبح الأضحية تيمناً بسيدنا ابراهيم الخليل عليه السلام، ويتم ذبح الأضحية بعد صلاة العيد مباشرة ويتم توزيع ثلثها على الفقراء والثلث الثاني للولايا الاقارب، والثلث الأخير للعائلة. وبعد ذبح الاضحية وتوزيعها يباشر الناس نفس العادات التي يمارسونها يوم عيد الفطر كما سبق ذكره.

الالعاب ووسائل التسلية

عرف الانسان التسلية منذ اقدم العصور، وتطورت وسائلها بتطوره حضاريا. ومن انواع التسلية التي يلجأ اليها الانسان الالعاب، وتتميز هذه الألعاب بالبساطة والاعتماد على الطبيعة واعضاء الجسد، واذا احتاج الى شيء آخر فإنه لا يحتاج الا الى عصاه، او حجارة صغيرة او كرات من القماش، او غيرها من الادوات البسيطة، ومن هذه الالعاب ما يلعب في النهار، ومنها ما يلعب في الليالي المقمرة.

ومن الملاحظ على هذه الالعاب الشعبية ان بعضها يعتمد على قوة الجسد والخفة والرشاقة، وبعضها يعتمد على الفطنة والذكاء، فتعتبر بذلك نوعاً من أنواع الرياضة الذهنية التي تعمل على تدريب عقل الطفل على التفكير العميق، وقد وضع لهذه الالعاب شروط وقوانين تنظم كيفية اجرائها وما يترتب عنها من نتائج. وكذلك يلاحظ ان هناك ألعابا خاصة بالصبيان والعابا خاصة بالفتيات.

اولاً : ألعاب الصبيان والشباب :

١ - الحاح
٢ - الرّبع
٣- الغمّيضة
٤- الصّمدة
٥- المنقلة
٦- طاولة الزهر
٧- السيجة
٨- ادريس
٩- الضامة
١٠- البنانير
١١- الشّدة
١٢- الطابة والجورة
١٣- طوق طوق طاقية

ونرى انه من المفيد التعريف بهذه الألعاب :

١ - الحاح : سميت بهذا الاسم نسبة الى أول كلمة يطلقها اللاعب وهي (حاح) . وتضم هذه اللعبة فريقين من الاشخاص ، وهما فريق (أ) وفريق (ب) ومجموعة من العصي ، وقطعة صغيرة من الخشب مبرودة الجانبين على شكل الحربة تسمّى (الحاح) ، وكذلك حفرة صغيرة دائرية الشكل تسمى (الجورة) أو (النقرة) ويكون اللعب كالآتي :

تجري القرعة لتعيين الفريق الذي يبدأ باللعب ، فلنفرض ان فريق (أ) هو الفائز بالقرعة ، فيمسك احد اعضائه بالعصا ، ويضع الحاح عند نهاية العصا ، ويضع رجله على (الجورة) ثم يصيح بأعلى صوته ، قائلاً : (حاح) لينبه الفريق (ب) الذي يقف اعضاؤه على بعد مسافة معينة كل منهم يمسك عصاه بيده ، وقد استعدوا لضرب او لمس الحاح بحيث اذ استطاع احد اعضائه ضرب الحاح او لمسه يفوز بالنصر في هذه الدورة فيقومون بلعب دور الفريق (أ) اي يضربون الحاح .

ولو فرضنا ان احداً من الفريق (ب) لم يلمس الحاح ، فيمسك احد اعضائه الحاح من المكان الذي هو فيه ، ويقذفه نحو الجورة ، ويحاول اللاعب من الفريق أ- الذي كان قد ضرب الحاح من الجورة - ان يمنع اقترابه من الحفرة ، ولكن اذا وقع الحاح على مسافة طوله من الجورة فيكون النصر للفريق (ب) . أما اذا وقع الحاح بعيداً عن الجورة فيكون النصر للفريق أ ، وعندها يقوم الشخص الذي ضرب الحاح بضربه من على حافة الحفرة بعصاه ، فإذا ما قفز الحاح عن الارض ضربه بعصاه محاولاً ابعاده عن النقرة ، ويلاحقه ضارباً اياه ثلاث مرات مما يوصله الى مسافة بعيدة عن الجورة ، ويحاول اعضاء (ب) ضربه بعصيهم ، فإن تمكنوا من لمسه يكونون هم المنتصرين ، وان لم يتمكنوا من لمسه يكون الفوز من صالح أ ؛ ويقومون بقياس المسافة بين الحفرة والحاح بإحدى العصي ، وكل عصا تساوي نقطة او كما يطلقون عليها (دودة) وفي بعض الاحيان لا يستطيع الضارب من أ ابعاد الحاح كثيرا من الحفرة فيتمكن فريق ب من تهديفه قريبا من الحفرة ، او يتمكن احد اعضاء ب من لمس الحاح ضارباً اياه إلى ما وراء ضاربه من أ دون ان يتمكن هذا من لمسه واعادته قبل سقوطه على الارض ، وهذه العملية تسمّى (عكرة) وهي تمحو جميع النقاط التي سجلها الفريق أ ، ولو ان هذه العملية نادرة الحدوث بسبب بعد المسافة بين الضارب واللاقف .

٢ - **الرّبع** : هذه اللعبة مثيرة جداً وصعبة ، وتلعب في المساء وعادة تستمر الى ساعة متأخرة من الليل .

ينقسم اللاعبون الى فريقين (أ) و (ب) تجري القرعة لتعيين من يجلس ومن يمثل دور الغازي . ولنفرض ان الفريق (ب) هو الذي سيجلس اعضاؤه ، عندها يجلس نصف اعضائه

على الارض ويقف امامهم حارس ، ويتفرق اعضاء الفريق أ في اماكن مختلفة او مع بعضهم بعضا ، ويقوم النصف الثاني من (ب) بالبحث عن اعضاء أ للإمساك بأحدهم ، وهنا يباغت اعضاء (أ) اعضاء (ب) الجالسين وينهالون عليهم ضربا مبرحا ، فيصرخون :

يابونا قتلونا تحت السيف رمونا . ويستمرون في الضرب الى ان يعود اعضاء (ب) الذين يبحثون عن اعضاء أ ويحاولون القاء القبض على احدهم ، ولكن اعضاء أ يهربون محاولين عدم الوقوع في ايدي (ب) ، وتستمر العملية الى ان يتمكن اعضاء ب من القاء القبض على احد اعضاء (أ) ، عندها يتبادلون الدور . حيث يجلس نصف اعضاء أ ويقوم اعضاء ب بالهرب وضرب الجالسين من (أ) الى ان يتم القاء القبض على احدهم ، وهكذا . .

٣- **المنقلة** : وهي عبارة عن لوحة سميكة من الخشب بحيث يحفر فيها صفّان من الحفر في كل صف ٧ حفر ، ويمكن حفر هذه الحفر في الارض في حال عدم وجود المنقلة ، ويتم اللعب بأن يأخذ كل لاعب ٤٩ حصوة مصقولة ، ويضع ٧ حصوات في كل حفرة ، ويبدأ اللاعب الاكبر سناً بتوزيع حصوات احدى الحفر على بقية الحفر التي في صفّه وفي صفّ صاحبه ، ثم يلعب اللاعب الثاني . وتتكرر العملية ، ويتم فيها عمليات تخطيط بحيث ان اللاعب الذي يجعل في اي حفرة ، وخاصة من حفر خصمه عدداً زوجياً من الحصى فيأخذها من الحفرة ويكسبها وتخرج من اللعب ، ويستمر اللعب هكذا الى ان يتم سحب جميع الحصوات ويحسب عدد الحصوات التي كسبها كل لاعب ، فالذي حصل على عدد اكبر من الحصوات يكون هو الفائز .

٤- **طاولة الزهر** : وهي لعبة تركية ، وهي مسلية حقا ، وتبعث على التفكير السليم ، وذلك بالامعان جيداً عند تحريك اي حجر من مكانه ، ولكن الحظ له دور رئيس فيها ، ومن هنا جاء اسمها (طاولة الزهر) ، وهذه اللعبة ما زالت متداولة ولهذا تكتفي بذكر اسماء اللعب فقط دون شرحها . وهي المحبوسة ، الواحد والثلاثين - شيش - بيش .

٥- **ادريس** : لعبة بسيطة ومسلية خاصة للأطفال والشيوخ ، وهي عبارة عن مربع كبير يقسم عرضيا الى قسمين ، ثم يوصل قطراه الاثنان فينتج ٦ مثلثات لها رؤوس فقط لانها جميعها تشترك في رأس واحد في مركز المربع . ويأخذ كل لاعب ٣ حصوات متشابهة فيما بينها ولكنها مختلفة عن الثلاث حصوات للاعب الثاني . ويجري اللعب كالتالي :

يضع اللاعب الاول حصوة في احد رؤوس المثلثات ، ثم يضع اللاعب الثاني حصوة في احد رؤوس المثلثات . ثم يضع اللاعب الاول حصوة ثانية في رأس ثان من رؤوس المثلثات ،

ثم تتكرر العملية بالتناوب، بحيث يحاول كل لاعب ان يضع الثلاث حصوات على استقامةواحدة، ولكن يضع اللاعب الثاني حصواته بحيث يمنع تحقيق تلك الاستقامة، ويبدأ كل لاعب يحرك حصوة في محاولة لوضعها على استقامة واحدة، ويعمل الثاني على منعه من تحقيق ذلك، ويحاول هو ان يضع حصواته على استقامة واحدة، ومن يتمكن من وضع حصواته على استقامة واحدة يكون هو الفائز.

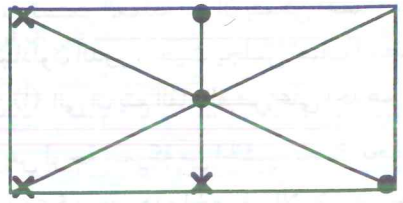

ثانياً : ألعاب البنات

١- النّقال (الخمس حجرات) : تكون هذه اللعبة بين طفلتين، بحيث تحضران خمس حجرات صغيرة مستديرة الحجم، وهي من خمسة اشواط واحيانا ستة اشواط.

الشوط الاول : ترمي الفتاة ٤ حجرات على الارض بشكل مبعثر، وتقذف الحجر الخامس في الهواء، وتقوم بالتقاط الحجرات الاربعة من على الارض واحدة تلوة الأخرى، بحيث تلتقط الحجر عن الارض ثم تلتقط الحجر الذي في الهواء قبل سقوطه على الارض. واثناء التقاط الاربع حجرات تردد الفتاة : حاريدة، ماريدة، بنت العم، سعيدة.

الشوط الثاني: ترمي الاربع حجرات بشكل مبعثر على الارض ثم ترمي الحجر الخامس في الهواء، وتقوم بالتقاط حجرتين عن الارض ثم الحجر الذي في الهواء قبل سقوطه، ثم ترفع الحجرتين الباقيتين، وتردد اثناء ذلك: يا هالجوز، مطارق لوز.

الشوط الثالث : ترمي الاربع حجرات على الارض، ثم تلتقط حجراً واحداً من على الارض ثم الحجر الذي في الهواء، ثم تلتقط ٣ حجرات معاً من على الارض ثم الحجر الذي في الهواء، وهي تردد : ياها الحبّة، وثلاث اشكال.

الشوط الرابع: في هذا الشوط عليها ان تلتقط الاربع حجرات من على الارض مهما كانت مبعثرة معاً ثم تلتقط الحجر الذي في الهواء قبل سقوطة وهي تقول : دُقّهُ، شيله، ولو وقع ما باشيله.

الشوط الخامس : تضع اللاعبة الاصبع السبابة فوق الوسطى وتعمل بهما مع الابهام شكل جسر، ثم تقذف الاربع حجرات مبعثرة على الارض، وتعمل على ادخالهن من تحت الجسر، وذلك بأن ترمي الحجر الخامس في الهواء وقبل ان نلتقطه تدخل حجراً من تحت الجسر الى ان يتم ادخال الاربع حجرات ثم تقذف الحجر الخامس في الهواء فتلتقط الاربع حجرات معاً من وراءالجسر ثم تلتقط الحجر الذي في الهواء قبل سقوطه على الارض.

الشوط السادس : ترمي الخمس حجرات بحيث تقع جميعها على ظهر كف اليد، ويسمح بأن يسقط منها حجراً او اثنين على الارض، فترفع وتوضع على ظهر اليد بحيث تكون الخمس حجرات على ظهر اليد، ثم تقوم بقذفهن ثانية في الهواء بحيث يجب ان تلتقطهن الخمسة معاً قبل سقوطهن على الارض وهو اصعب الاشواط. فإذا سقط منها اي حجر او عجزت عن التقاط اي حجر في اي شوط تخسر اللعبة، وينتقل اللعب الى زميلتها، وهكذا.

٢- الحبلة : وهي لعبة جماعية مسلية للفتيات ولكن يمكن للصبيان ان يمارسوها. وهناك عدة انواع منها حسب عدد اللاعبات :

أ- ثلاث لاعبات : تمسك اثنتان منهن بطرفي الحبل، وتقف الثالثة على جانب الحبل عند مستوى منتصفه، ثم تبدأ الفتاتان بتحريك الحبل بصفة متناسقة في الهواء لأعلى واسفل، بحيث تقوم الثالثة بالقفز عن الحبل الذي يمرر من فوق رأسها ثم من اسفل قدميها، واثناء ذلك تنشد الفتيات انشودة جميلة تعتبر جزءاً من اللعبة، وهي :

بيبوح يا بيبوح　　قلب العرب مجروح

إمه عليه بتنوح، بتقول يا وردة، يا صاحب الجردة، خذ لي معك بقرة، بقرة حلاّبة، تحلب وتستقيني، والرّب معطيني، معطيني طير اخضر، بمشي وبتمتختر، يا ريتين زرته، زرته سبع مرات. رحت عند اختي لاقيتها تبكي، مسّحت دمعها بطرف شلحتها، شلحتها شامية، عالحيط مرمية، سرقوها الحرميّة من تحت النمليّة.

وتستمر الفتاة الثالثة بالقفز الى ان تتعرقل بالحبل فتتوقف عن القفز وتحل محلها احدى زميلتيها الممسكتين بالحبل.

ب- عندما يكون عدد اللاعبات من ٥-٧ : يعطى كل منهن اسما خاصاً باللعبة وهذه الاسماء هي : شبرة، امرة، شمس، نجوم، وردة، إكليل، طرحة.

تبدأ شبرة بالقفز فوق الحبل واثناء ذلك تردد البنات : شبرة أمرة شمس نجوم وردة اكليل طرحه. وعندما تتعثر بالحبل تتوقف عن القفز وتحل محلها صاحبة الاسم نطق به وقت تعثرها. وهكذا دواليك.

٣- الحجْلة : وهي عبارة عن مربع كبير يقسم بدوره الى ستة مربعات أصغر في صفّين، وكل مربع يسمّى بيتاً. ترمي احدى اللاعبتين علبة فارغة دائرية، او مستطيلة في البيت الأول، ثم تبدأ تحجل، اي تمشي على قدم واحدة، وتضرب العلبة بذلك القدم من بيت الى بيت الذي يليه الى ان تخرجها من البيت السادس دون ان تقع الفتاة، اوالعلبة على الخط الفاصل بين بيتين، بحيث اذا وقعت احداهما فإنها تخسر الشوط وتلعب بدلاً منها زميلتها. أما إذا استطاعت اخراج العلبة من البيت السادس فإنها تمسك العلبة وتدير ظهرها للمربعات وتقذف العلبة من وراء ظهرها نحو المربعات، فإذا وقعت العلبة خارج البيوت أو على الخط الفاصل بين بيتين فإنها تخسر، وتبدأ الثانية باللعب، اما اذا وقعت العلبة في احد البيوت فإن هذا البيت يصبح ملكا لها، فيمكنها ان تستريح فيه من الحجل ثم تستأنف اللعب بعد الاستراحة، وهذا يسهل عليها متابعة اللعبة. بينما يمنع على اللاعبة الثانية ان تمر في هذا البيت، اذ عليها ان تقذف العلبة بقدمها من البيت السابق لهذا البيت المحتل الى البيت الذي يليه دون ان تمر عليه، وعليها هي الاخرى ان تقفز عن هذا البيت دون ان تستريح فيه، وكثيرا ما يشكل هذا عقبه امامها يصعب تخطيها، ويصعب عليها الفوز ببيت مماثل، بينما تصبح الفرصة سانحة لصاحبة البيت لاحتلال بيوت جديدة، ويستمر اللعب الى ان يتم احتلال جميع البيوت، فمن تحتل عدداً اكبر من البيوت تكون هي الفائزة.

٤- لعبة العّماري.

٥- لعبة حامي وبارد.

٦- الشركة البركة.

٧- يا عجوزتي.

الآلات الموسيقية الشعبية في اليامون

رغم ان هناك بعض الآلات الموسيقية الحديثة او غير الشائعة الاستعمال في اليامون، وانما دخل اليها عن طريق ابنائها المغتربين، فإنني لن اذكرها على انها من الالات المستعملة في اليامون مثل : القربة، والعود، والمجوز، والدف، والنقارتان. وانما سأقتصر على ذكر الالات الشعبية المستعملة فعلا في اليامون.

١- الدربكة : وهي عبارة عن شكل مخروطي يشبه البوق الى حد ما، يربط على فوهتها الواسعة قطعة رفيعة من الجلد مشدودة جداً تعطي صوتا ذا نغمة عذبة عند نقرها بالأصابع، وهي الآلة الموسيقية الوحيدة التي تستعملها النساء اثناء الغناء، او الرقص، وتجدر الاشارة الى التجاوب الكبير الذي تظهره المرأة للايقاع بعزفها وعزف احداثها المتقن على الدربكة [1]

٢- الشّبابة : وهي من اقدم الآلات الموسيقية التي استعملها الانسان في حياته الاولى نظراً لبساطتها وسهولة صنعها. وهي عبارة عن انبوبة اسطوانية تصنع عادة من المعدن ولكن قد تصنع من القصب، وهي مفتوحة من الطرفين، وعلى احد اوجهها ثمانية ثقوب متساوية في الحجم والمسافة. وتوضع الشّبابة عند العزف على الشفة السفلى او بين الشفتين، ويضع العازف أصابع يديه الثمانية - باستثناء الابهامين - على الثقوب، ويبدأ بنفخ فيها من فمه ويحرك اصابعه الواحد تلو الآخر، ويغير ويعدل فيها طولا ومكانا حسب اللحن الذي يريده. وينطلق منها نغماً مطربا ليس فقط للانسان بل وللحيوانات ايضا، ولعل هذا ما يفسر ارتباط الشبابة بالرعاة الذين يخففون بها عناءهم، ويبعثون في انفسهم الطرب والكيف.

٣- اليرغول: عبارة عن مزمار مثنى ، وله فتحة مستديرة . ويتكون من قصبتين . تكون القصبة الاولى ذات ثقوب، وفي جزئها الملامس للفم لسان ملصق طرفه الأعلى بالقصبة، فعندما ينفخ فيه العازف يهتز اللسان محركاً الهواء، والقصبة الثانية غير مثقوبة وهي ضعف الاولى طولا، ويعتمد النغم على كيفية النفخ وطول النفس، وخاصة على حركة اصابع اليدين على الثقوب.

(١) يسرى جوهرية، الفنون الشعبية في فلسطين، ص ٥١.

الغناء الشعبي والدّبكة

يعرف الغناء الشعبي على انه تراث فلكلوري اصيل يرتبط بحياة الأمة، ويعبر عن شخصيتها ونفسيتها، وغالبا ما يكون على شكل (الحداء) ويقال للمغني الشعبي (الحدّاء) رغم ان هناك انواعاً متعددة منه مثل: الميجانا والعتابا والدلعونا والجفرا، وظريف الطول، والمربّع، والمربّع المقسوم، والمثمّن.

١- الميجانا: وهي عادة مفتاح بدء الاحتفال، وهي عبارة عن ٤ شطرات، ثلاثة منها على وزن واحد وقافية واحدة، والرابعة قافية مختلفة، ثم بعد الشطرة الرابعة يردد عبارة يا ميجانا. مثال [١]

الله نزّل القرآن للعالم حَكَم[٢] ومسجّل بآيات من اسمى حِكَم[٣]

ومهما الدكتور عليّ حَكَم[٤] عَ حسب الأمر بنلبّي حكم احبابنا

ويا ميجانا ويا ميجانا ويا ميجانا

٢- وهنا يجب ان يشتق بيت (عتابا) من الميجانا السابقة، مثال[٥]:

انا لأطيع لربّي وحكمتُه القلب مجروح وانتوا اللي حكمتوا

ومهما عليّ يا دكتور حكمتوا على حسب الحكم بلبّي الطلب

٣- المربّع: وهو عبارة عن بيتين من ٤ شطرات تكون الثلاثة الاولى على نفس القافية، والعجز قافية مختلفة، والوزن أو البحر يختلف عن وزن العتابا والميجانا (مثال [٦]

أ- اوعى تلفّ واوعى دّور وبنفسك لا تكون مغرور

وانا بحبي للدكتور ويا نعم الفريحية

ب- عالنار بنهجم عالنار ومن اعدانا بنوخذ الثار

بحيّيكم كبار وصغار شباب وختيارية

١- من غناء السيد ابراهيم عبد القادر فريحات وهو من اشهر المغنيين الشعبيين في اليامون وقد عمل على احياء عدة حفلات فلكلورية في الكويت، وكان رئيس فرقة الفنون الشعبية الفلسطينية في الكويت.

٢- حكم: فاصل

٣- حكم: عبر وعظات

٤- حكم: اصدر حكماً

٥- ابراهيم عبد القادر فريحات

٦- ابراهيم عبد القادر فريحات

وهنا يجب على الحداء الثاني ان يرد على الأول بمربع ينتهي البيت بنفس القافية الأخيرة للمربع الاول:

فيكون الرد على المقطع الأول (أ):

يا شاعرنا الله يحييك والله يبيّض لياليك

وبصوتي انا بناديك تا نعمّر هالسهرية

وعلى المقطع الثاني (ب):

سهرتنا حلوة وجميلة وما شفنا الها مثيلة

عادتنا نعلى الأصيلة بأيام الفروسية

٤- المربع المقسوم: وهو يبدأ ببيت على قافية معينة يقوله الحداء الأول، فيجيبه الحداء الثاني ببيت مناسب ومرتبط بالأول، وعلى نفس قافيته، ويستمر القول بهذه الطريقة بيتاً بيتاً الى ان يبلغ عدد الابيات الاربعين او اكثر، حتى يختم الحداء الثاني هذا المربع، ويكون ختمه عفويا ارتجاليا وغير مخطط له، وبذلك يتم المعنى، مثال [١]

الأول - هاي الساعة ما احلاها بعمري ما يمكن انساها

الثاني - بلادي روحي فداها وقلبي يا نور عيوني

الأول - بلادك علينا بتعزّ وهز لي برمحك هزّ

الثاني - وكالسّبع على نابك كزّ يا ابو القلب الحنوني

الاول - اللي بينسى اوطانه حتم بيهدم كيانه

الثاني - والشاعر يُعرف بألحانة ان كانها تبقي موزني

٥- الدلعونا: وهي تكاد تكون خاصة للدبكة، فنظراً لتجاوبها مع وقع رقص الدبكة، اصبحت من اهم الانغام في مصاحبة الدبكة، اذ لا بد من قول بيت من الدلعونا على انغام الشبابة، استعداداً للبدء في الدبكة، مثلاً:

أ- على دلعونا وعلى دلعونا ويلعن الفرقة الوطن حنونا

ب- يامّا ويا يمّا اعطيني رشاشي طلبتني بلادي من الصبح ماشي

عفت الوظيفة وعفت المعاش لاجل تحريرك يا فلسطينا

(١) عمر عبد القادر فريحات المعروف بـ(ابو بسام اليامونى)

٦- ظريف الطول : ويقال هذا اللحن ايضاً في الدبكة، وهو يختلف في اللحن عن الدلعونا مثال :

يا ظريف الطول وين رايح تروح جرّحت قلبي وعمقت الجروح
وحَلِّفك بالله وعنّا لا تروح كل يوم بفرقتك عنا بسنة

٧- المثمّن: وهو عبارة عن ٨ شطرات ، يكون صدر الابيات الاربعة على قافية واحدة، وعجز الابيات الثلاثة الاولى على قافية اخرى، واخيراً يكون عجز البيت الاخير قافية مختلفة، وتسمى تسكيرة مثال [١]:

بحيي شبابك فلسطين هاللي بدافعوا عن الارض
وقَلْبُن قاسي ما بلين بصلّوا السنة والفرض
ويا عرب هبّوا أجمعين وخوضوا المعركة طول وعرض
تانطرد هالصهاين فلسطين عربية

٨- الجفرا: الجفرا هي ابنة المعزة الصغيرة (السخلة) كناية عن صغر السن، ولين العود، والجمال، ويقصد بها الفتاة الشابّة، وهي من الالحان الشعبية الفلسطينية التي تغنى على انقام الشبّابة او البرغول او الدبكة، وتكون معروفة بغناء فردي . وتتألف من اربع شطرات، منها ثلاث شطرات ذات وزن واحد وقافية واحدة، اما الشطرة الرابعة فعادة تنتهي بالياء والهاء (أو التاء المربوطة) مثال [٢]

جفرا يا ها لرّبع[٣] على نبع العيون ملّت جرتها يمّا من دمات عيوني [٣]
إمْتى نرجع يا ربي على أرض اليامون ونسهر على البيادر سهرة جماعية

(١) ابراهيم عبد القادر فريحات
(٢) عمر عبد القادر فريحات
(٣) الرّبع : الناس، العيون: الآبار ملّت : ملأت، يمّا : يا أمي.

الدبكة

الدبكة هي الرقصة الشعبية الموجودة في اليامون وقرى فلسطين، وفيها يصطف عدد من الرجال في سلسلة دائرية بحيث لا تشكل دائرة مغلقة، وعادة يكون على رأس هذه الحلقة امهرهم في الدبكة، ويمسك بيده محرمة (منديلا) معقودة ويبدأ يلوّح بها اثناء الدبكة، ولهذا يعرف (باللّويح) ، وهو مدير الدبكة وموجهها وآمرها، وله الحرية التامة في الانفصال عن الحلقة، والرقص منفرداً وسط الحلقة ذهابا وايابا أمام جميع الدّبيكة، مظهراً مهارته وتفننه وحماسه، اما الشخص الذي يقف في آخر الحلقة فعادة يكون الاصغر سنّاً، والأقل مهارة ويقال له (على الجحشة).

وفي وسط الحلقة يقف العازف على الشبّابة او اليرغول، يعزف اللحن المناسب لنوع الدبكة التي سيؤدونها، ويقف بجانبه (القوّيل) أو المغني، الذي يغني بيتين من الدلعونا يكررهما مرتين، او (ظريف الطول).

وبينما يكون العازف يعزف اللحن يكون الدّبيكة يتمايلون ببطء، ويحركون أرجلهم ايضا ببطء، وما ان ينهي المغني بيت الدلعونا او ظريف الطول حتى يصيح اللويح قائلاً : «اطلع» ويحدد لهم نوع الدبكة، مثلا : واحدة ونص، حيفا ، شمالية.

أنواع الدبكات [١] : هناك عدة انواع من الدبكة هي :

١- السحجة : يصطف الرجال في سلسلة متراصة جداً، يصفقون بأيديهم ثلاث مرات متتالية ، ويتمايلون جهة اليمين واليسار، وهم يرددون بعض المقاطع الغنائية التي يحددها لهم المغني، وهي اكثر استعمالا في زفّة العريس.

٢- الشمالية: وهي تنسب الى قرى شمال فلسطين، وتتم بالعزف على اليرغول، وهي دبكة الختيارية، فهي عبارة عن هزهزة، تثنى الرجل اليسار وتهز مرتين والهزة الثالثة تضرب بالارض، ثم تثني الرجل اليمين مثل اليسار، وهكذا.

٣- حيفا: وهي دبكة على العزف المنفرد على الشبابة او اليرغول، ويبدأ القوّيل بترديد بيت من الدلعونا ، تبدأ اثناء ذلك الارجل تتحرك حركة تشبه « خطوة تنظيم» وعند الانتهاء من بيت الدلعونا ينفصل اللّويح عن الحلقة، وعندما يرى أن حركات الارجل اصبحت ذات نغم واحد يقول : ريّح» ، فيقوم الدبيكة بحركة خفيفة بالأقدام ، اليمنى للامام والخلف ، وبعد لحظة يهتف قائلاً «اطلع»، فينطلق الدبيكة بحركاتهم الرئيسية.

(١) انواع الدبكة اخذتها عن السيد ابراهيم عبد القادر فريحات . واستعنت الى حد ما بكتاب الفنون الشعبية في فلسطين، تأليف يسرى جوهرية عرنيطة.

٤- عتيل او الواحدة ونص : وبدايتها تشبه بداية دبكة حيفا من حيث العزف المنفرد والغناء، وحركة الارجل. اما الحركات الرئيسية فيها فهي عبارة عن ضربتين قويتين بالقدم اليسار، ثم دقة خفيفة بالقدم اليمين.

٥- الشعراوية : وحركاتها الرئيسية عبارة عن ضربتين بالقدم اليسار، ثم دقة ونصف تتبعها دقة ونصف بالقدم اليمين مرتفعة.

والغناء الشعبي او الحداء تراث شعبي اصيل، وليس كل انسان قادر على اتقانه، بل هناك البعض فقط الذين يستطيعون ان يبرعوا فيه، ويسمّى عندها الشخص الحدّاء، وقد يكون حداء محترفاً، او هاوياً. وهو يعمل على إحياء حفلات الاعراس في القرى، فإن كان هاوياً لا يتقاضى اجراً على ذلك، اما اذا كان محترفاً فإنه يتقاضى اجراً، ومن الحدائين الهواة في الخمسينات من هذا القرن سليمان حسن غزال فريحات. الا ان الحداء احمد عبد الله حسين فريحات كان الحداء المحترف الوحيد في اليامون، وقد كان يحيى حفلات الاعراس في اليامون والقرى المجاورة بالاشتراك مع الحدائين المعروفين من قرى جنين مثل العّراني، او البرقيني والعجّاوي. وقد كان رحمه الله ذات صوت موسيقي رائع، ونفس طويل، وقد عمل على تدريب بعض شباب العائلة الذين أصبح بعضهم من الحدائين المشهورين حالياً امثال : ابراهيم عبد القادر عوض فريحات الذي اشتهر ليس في اليامون فحسب، بل تعدت شهرته قرى جنين حتى وصلت الى الكويت، وان كان لا يمارس الحداء احترافاً. غير ان شقيقه خليل يحترف الحداء في قرى جنين، وشقيقه عمر (ابو بسام اليامون) الذي يعتبر من اشهر الحدائين والذي يشارك في احياء الحفلات الفلكلورية في الكويت، وشقيقه عزمي.

ومن الحدائين الهواة الذين لو تابعوا مسيرة الفن الشعبي والحداء الى درجة الاحتراف لكان لهم شأن كبير: سعيد سليمان غزال، واسعد غالب عبد الله وهما من عشيرة الفريحات، وتخرجا على يد المرحوم احمد عبد الله فريحات. وقد شهد الفنان الشعبي البارع العّراني للمطرب الهاوي سعيد سليمان بالقدرة الفائقة وتوقع له مستقبلاً فنياً رائعاً عندما غنّى امامه وهو في عنفوان الشباب. لم يتجاوز الخامسة عشرة من العمر هذين البيتين :

عَ بعدك ارتميت بنار خدّي وجُرْحٍ بالقلب ما عاد خدّي

لمين انقش شفايفي وراس خدّي وحبيبي فضلّ الهجران غاب

حيث قال العراني ان هذا اقوى بيت مربع سمعته حتى الآن ممثلا الفلكلور الشعبي بحق. ويقول السيد سعيد عن سبب تركه الغناء وعدم متابعته الطريق الفني هو وفاة والده في سن مبكرة، وكذلك وفاة ابن عمته احمد عبد الله فريحات وهو استاذه ومعلمه الغناء.

ولن انسى هذا البيت من العتابا الذي اطربنا به سعيد سليمان في عرس احد اقربائنا وهو باسم فاروق عبد الرحمن اثناء السهرة، حيث ابدع فيه بدرجة ان بعض الحاضرين ما زالوا يحفظونه :

آيات الله في القرآن حكمات[١] ليالي الانس بها الحفل حكمت[٢]

تحية مقدمة لابن الحال حكمت[٣] عقيد الشور وفخر الشباب

وهذا البيت الرائع :

علامات الخلق مرسومة وسمنا يا رب البيت تبارك وسمنا

تحية مقدمة لابو وسيمنا[٤] واخوه يوسف يا عز الحبايب

ومن اشهر المغنين الحدائين المشهورين في اليامون الذين ذاع صيتهم في مدن الضفتين : الغربية والشرقية الحداء كايد محمود ابو الهيجاء الذي سجل له التلفزيون الاردني مجموعة حلقات متلفزة في الغناء الشعبي، وجميل محمد سعد ابو حسن (ابو اشرف) وابو اياد اليامون وانور سليم ابو حسن وابراهيم عبد القادر فريحات وعمر عبد القارد فريحات وعزمي عبد القادر فريحات واكرم صلاح ابو الهيجاء واخوه محمد صلاح. ومن العازفين على اليرغول، الذين كانت لهم شهره، المرحوم احمد مرعي خمايسة (ابو مهيوب) ومن العازفين على الشبابة (الناي) عبد القادر عقاب فريحات، فتحي محمود طاهر سمودي، صالح امين زين الدين، احمد الحاج علي ابو سيفين وشريف ياسين بشير و ابو سباق وراجح طاهر خمايسة ومصطفى الحاج علي ابو سيفين.

١- حكمات : محكمة

٢- حكمت : حلت، حدثت

٣- حكمت : مؤلف الكتاب.

٤- ابو وسيمنا يعني ابو وسيم وهو مؤلف الكتاب.

الأمثال العامّية في الياامون

أصل المثل في اللغة هو النظير، وقد حدد بأنه الشيء الذي يضرب لشيء مثلا فيجعل مثله»، والأمثال لون من ألوان الأدب الشعبي لانها تنبع من افراد الشعب نفسه وتعبر عن عقليته العامّة.

ومن اجل ذلك فإن الامثال تدل على طبيعة حياة الأمّة وتصور مجتمعها، وترسم عوائدها، وتسرد اخبارها، وتحفظ آثارها، وتقدم الدليل على مستوى تفكيرها ومدى ثقافتها ومبلغ حضارتها، فالامثال مرآة للاخلاق العامّة، والاخلاق العامّة مرآة لمستوى حياة الامة في مجالات الحضارة والعلم والتفكير.

والمثل لا ينشأ فكرة في الذهن يعبر عنها بعد ذلك مفكر أو أديب، ولا هو تأملاً يستغرق فيه صاحبه ثم يصوغه على هذا النحو او ذاك، لأنه حين ذلك . . يكون اثراً للتأمل او نتيجة للتفكير او تعبيراً مقصوداً عن انطباع فهو اقرب الى الحكمة . . وبين الحكمة والمثل وجوه افتراق ووجوه تلاق.

وطبيعة المثل انه ينطلق من حادثة . . وراءه دائماً واقعة جرت او قصة دارت او حدث وقع في حياة انسان او مجموعة من الناس، ثم تركزت الحادثة في الفاظ معدودات من الفاظها لتكون هذه الجملة الذائعة الشائعة التي نسميها المثل . . ولكن المثل وحده هو الذي يبقى، اما الحادثة ذاتها فتهمل او تنسى، وقد حاول بعض المؤلفين ان يربطوا بين الامثال وبين القصص التي قادت اليها، اي ان يذكروا لكل مثل قصة، فلاحظنا تنوعاً في القصص التي ينسب اليها المثل الواحد. وسواء كانت الحادثة وراءالمثل صادقة ام لا، موضوعة على المثل او مستعارة له او محمولة عليه، فإنها إنما تكون لتفسيره ولن يخرج هذا التفسير عن روح الجماعة التي تتداول هذا المثل وشاع فيها.

والصورة التي يتخذها المثل تقوم اساساً على الايجاز والتركيز، فالمثل يضغط الحادثة في كلمات او يبلورها في جملة قصيرة، وتحيا في هذه الجملة الالفاظ المعدودات التي تستقطب الحادثة او تركز فكرة وراء الحادثة، ويكون لهذه الالفاظ والكلمات المكثفة القدرة على ان تعرض لنا القصة باحداثها واناسها. واهم ما يمتاز به المثل هو بساطة التعبير وعفويته، فلا يمكن ان يكون معقداً او متكلفاً، وبما انه كذلك فإنه يكتسي احياناً شيئاً من موسيقية خفيفة تتمثل في السجع . . الذي يعبر عن شيئين اثنين : عن الحس الموسيقي لدى الفرد او الجماعة في ميلها الى مثل هذه الجمل التي تتماثل في نهاياتها، وقد تتوازن كذلك في اجزائها، وعن

الاحساس بحاجة المثل الى هذه الموسيقى ليسهل انتشاره وذيوعه . . ولكن هذا لا يعني ان المثل يجب ان يكون مسجوعاً بالضرورة، ولا كل كلام مسجوع هو مثل.

ولغة المثل ليست دائماً هي اللغة المنتقاة، لغة الشعر مثلاً، ولا هي اللغة المتكلفة المصطنعة، لغة النثر الفني، وإنما هي اللغة السهلة التي تنسجم وبساطة المثل، واللغة اليسيرة التي تتطابق مع عفويته. وحتى حينما تكون في المثل صورة او تشبيه فإنها ليست مصطنعة ولا متكلفة، وانما هي صورة مشتقة من حياة الشعب اليومية، وهذا ما يجعلها قريبة من الناس الذين يحسنون تذوقها والاستمتاع بها. وكثيراً ما تنحدر لغة المثل لتكون لغة عامية، وكثيراً ما تحتفظ بالخطأ الذي يتعارض مع قواعد النحو والصرف، ولهذا فهي غالبا ما تكون بعيدة عن اللغة الفصحى.

وتعتبر الأمثال فنا من الفنون الأدبية الشعبية الحية تعلقت بكل شيء وتناولت كل شيء يتصل بالحياة، فهي تعالج الأخلاق، والحكمة والتربية، والتوجيه، والسخرية والتهكم، والنكتة والفكاهة، والعظة والعبرة، والحب، والكره، والاضطراب والاطمئنان، والخوف والامن، والسعادة والشقاء، والخصب والجدب، والحرب والسلم، والحياة والموت.

والأمة اذا كثرت امثالها دل ذلك على ذكائها وحيويتها ثم على تأثرها بحوادث الحياة وانفعالها معها، فإذا هي توجز الملاحم المهولة والقصص الطويلة والخطوب السوداء في عبارة قصيرة جامعة، فلكل مثل قصة، ولكل قصة معنى، ولكل معنى صفة من صفات الحياة.

والعرب من الامم التي ضربت بهذا الفن بسهم وافر، فإذا ادبها يشتمل على آلاف الامثال، غير ان الوانا من الحياة قد جدّت، فإذا الوف من الامثال قد جدّت معها. ومن خصائص تركيب المثل سهولة اكتنازه في الذاكرة وسهولة تلقينه الى المستمع ليعيده ويكرره.

وأهل الياامون مثلهم في ذلك مثل بقية ابناء الشعب الفلسطيني والشعوب العربية الأخرى لهم سهم وافر في هذا المضمار، فهم كثيراً ما يلجأوون لاستعمال الأمثال في حياتهم اليومية للتعبير عن إحدى الدلالات او المعاني، وقد تنوعت مواضيع الأمثال تنوع حياتهم لتشمل جميع مناحي الحياة، وقلّما يتكلم احد العامّة ولا سيما الشيوخ منهم دون ان يتحفك بمثل او حكمة. وسنثبت هنا بعض الأمثال مع توضيح معناها والقصة من ورائها ومقارنتها بالامثال العربية الفصحى، ونورد بعضها دون شرح نظراً لأن ذلك يحتاج الى كتابة خاصة طويلة مما هو خارج موضوع هذا الكتاب:

١- شباط شبّط وخبّط وريحة الصيف فيه.

٢- آذار يا ابن عمّي اربعة مني وثلاثة منك تا نرد العرب على مشاتيها .

٣- سعد ذابح .

٤- آب اللّهاب .

٥- لو بدها تشتي غيّمت .

٦- خلط شعبان برمضان .

٧- ما بطلع من بيت جالا مؤذن .

٨- طلع مثل مصيّفة الغور .

٩- بيموت الزّمار واصبعه بلعب .

١٠- اول الرقص حنجلة .

١١- وقت عرسك عيرني دفّك .

١٢- سآلوا البغل : أنو أبوك ؟ قال : الحصان خالي .

١٣- شحّاد ومشرّط .

١٤- بعد ما شاب ودّوه الكتّاب .

١٥- اللي بخاف من الغول بطلع له .

١٦- هين قرشك ولا تهين نفسك

١٧- ما حدا بقول عن زيته عكر .

١٨- وقعت البقرة وكثروا السكاكين .

١٩- الولد ولد ولو انه قاضي بلد .

٢٠- اللّي باعك بالفول بيعه بقشوره .

٢١- اكبر منك بشهر اعلم منك بدهر .

٢٢- اكبر منك بليلة اعلم منك بحيلة .

٢٣- من برّا نقشه نقشه ومن جوّا . . محشي .

٢٤- البراطيل بتحل الشراويل .

٢٥- ثوب العيرة ما بدوم وان دام ما بدفّي .

٢٦- عمل البحر مقاثي .

٢٧- هربنا من عزرائيل اجانا قبّاض الارواح .

٢٨- لاقيني ولا تغدّيني

٢٩- ما في دخّان بلا نار .

٣٠- لولا النواطير كانت الكروم بتحمل قناطير .

٣١- حاميها حراميها .

٣٢- اللي بعرف بعرف واللي ما بعرف بقول كفّ عدس .

٣٣-- علمناهم الشحّادة سبقونا عَ الطوابين .

٣٤-ما بحك جلدك غير ظفرك

٣٥- فرخ البط عوّام

٣٦- بنت الخّواضة خوّاضة .

٣٧- ضرب الحبيب زبيب وحجارته قُطّين (تين مجفف)

٣٨- صاحبك اللي بدك تبقيه لا توخذ منه ولا تعطيه .

٣٩- دور مع الدرب ولو طالت وخذ بنت عمّك ولو بارت .

٤٠- خبّي قرشك الابيض ليومك الاسود .

٤١- كبير القوم خادمهم .

٤٢- يا باحش جورة السّوّيا واقع فيها .

٤٣- دجاجة حفرت عَ راسها عفرت .

٤٤- ضربني وبكى وسبقني واشتكى .

٤٥- اللّي تحت العُصي مش مثل اللي بعّد فيهن .

٤٦- اللي ايده في الميّة مش مثل اللي ايده في النار .

٤٧- اسآل عن الجار قبل الدار .

٤٨- شجرة بلا ثمر حَلّ قطعها .

٤٩- بنقول له ثور بقول احلبوه .

٥٠- عنزة ولو طارت .

٥١- بالوجه خيّي وبالقفا حيّة .

٥٢- اللي بالقدرة بتطلعه المغرفة .

٥٣- كل شيء في عند العطّار الا حبّني بالغصب .

٥٤- لو الجمل بشوف حدبته بطق وبموت .

٥٥- الجمل ما بشوف عوجة رقبته .

٥٦- رجع ايد من ورا وايد من قدّام

٥٧- تيتي تيتي مثل ما رحت جيتي .

٥٨- غاب القط إلعب يا فار .

٥٩- خاص الزيارة غارة .

٦٠- يا ما تحت السّواهي دواهي .

٦١- البرد والقلّة اساس كل علّة .

٦٢- قلل طعامك تحمد منامك .

٦٣- اتغدّى واتمدّى ولو لحظة ، واتعشّ واتمشّ ولو خطوة .

٦٤- كل زيت وناطح الحيط .

٦٥- الطبخة إذا كثروا طبّاخينها بتشيط .

٦٦- جبل عَ جبل ما بلتقي ، بني آدم عَ بني آدم بلتقي .

٦٧- شعره عَ شعره بتصير لحية .

٦٨- المرأة مرّا ومرمرة ومسمار في العنطرة .

٦٩- الحيط الواطي كل الناس بتنطه .

٧٠- الكي بالنار ولا حماتي بالدار .

٧١- إيد الحرّ ميزان .

٧٢- بدك تحيره خيّره .

٧٣- ما في شيء بلاش غير العمى والطراش .

٧٤- من طقطق لسلام عليكم .

٧٥- صحّ لها جوز قالت عنه اعور .

٧٦- ريحة الجوز ولا عد مه .

٧٧- حكي القرايا مش مثل حكي السّرايا .

٧٨- البيت بيت ابونا واجو الغرب يطحونا .

٧٩- عريان طارد متسلّح .

٨٠- الجوعان بحلم بأكل الخبز .

٨١- الشهر اللي ما لك فيه لا تعد ايامه .

٨٢- ثلثين الولد لخاله .

٨٣-- الخال مخلّى والعم مولّى .

٨٤- ابن العم بطيّح عن الفرس .

٨٥- حمّلوه نعجة ضرط ، قال حُطّوا الثانية .

٨٦-- الرجل محضر مش منظر .

٨٧- البيت ضيّق والحمار رفّاص .

٨٨- الزايد اخو الناقص .

٨٩- اللي بكبّر حجره ما بضرب .

٩٠- الاعور بين العميان مفتحّ .

٩١- شايب وعايب .

٩٢- عجوز اشتهت بالصيف خردلّة .

٩٣- المشتهية طلبته والمستحية اكلته .

٩٤- اعزب دهر ولا ارمل شهر .

٩٥- بيت السبع ما بخلى من العظام .

٩٦- انكش الجبل بدبّوس ولا تقارع تيوس .

٩٧- لو صار البحر جنة عمر الحماة ما حبّت الكنة .

٩٨- اعمل خير ، شرّ تلقى .

٩٩- رافق السبع ولو بيوكلك .

١٠٠- اعط الطبخة للطباخ ولو بيوكلها كلها .

١٠١- امش بجنازة ولا تمشي بجوازه .

١٠٢- ان كبر ابنك خاويه .

١٠٣- ان طلع ذقن ابنك احلق ذقنك .

١٠٤- كل يوم بيومه والرزق على الله .

١٠٥- اصرف ما في الجيب يأتي ما في الغيب .

١٠٦- عجوز اشتهت بالصيف خردلة .

١٠٧- بنقول له ثور بقول احلبوه .

١٠٨- اللي بيشوف مصيبة غيره بتهون عليه مصيبته .

١٠٩- قال : يلعن اللي بيحكي عَ الناس ! قال : يلعن اللي بيخلي الناس تحكي عليه .

١١٠- واحد حامل ذقنه وغيره تعبان فيه .

١١١- كلها نيّة ولا يوكلها غيرك مستويّة .

١١٢- السّكافي حافي والحايك عريان .

١١٣- مثل اللي بتتحالى بشعر بنت خالتها .

١١٤- يا مسترخص اللحم عند المرق بتندم .

١١٥- استكبرها ولو انها عظمة .

١١٦- يا ماخذ القرد عَ ماله ، بيروح المال ، ويبقى القرد عَ حاله .

١١٧- جبنا الاقرع تا يونّسنا : كشف طقيته وخوّفنا .

١١٨- مثل اللي اسلم الظهر ومات العصر : لا موسى شفع له ولا محمد دري به .

١١٩- ما حدا من الهمّ خالي .

١٢٠- مش كلّ من صف الصواني صار حلواني .

١٢١- اذا انت امير وانا امير مين بيسوق الحمير .

١٢٢- يا داخل بين البصل والثوم بتطلع بالريحة المشؤومة .

١٢٣- سآلوه من احبّ اولادك ، قال : الصغير ليكبر ، والغايب ليحضر ، والمريض ليشفى .

١٢٤- دموع العواهر نواهر .

١٢٥- دموع الفاجرات عَ الخدود حاضرات .

١٢٦- القرد في عين امه غزال .

١٢٧- فقدنا القط اجانا ينط .

١٢٨- اضعيفين قتلوا قوي .

١٢٩- ما اكذب من شب تغرّب ، غيرشايب ماتت اجياله .

١٣٠- النص نص علماء ، والفعل فعل شياطين .

١٣١- وجع ساعة ولا وجع كل ساعة .

١٣٢- لا يموت الذيب ولا تفنى الغنم .

١٣٣- اسأل مجرب ولا تسأل طبيب .

١٣٤- كل اللي بعجبك والبس اللي بعجب الناس .

١٣٥- حبلى ومرضعة وقدّامها اربعة وطالعة عَ الجبل تجيب دوا للحبل .

١٣٦- اجى تايكحّلها عورها .

١٣٧- اذا تفرّق الحمل بنشال .

١٣٨- نوم الصبايا للضحى العالي .

١٣٩- الكبير اللي بيدّلع مثل الباب المخلّع .

١٤٠- لا الراكب بظل راكب ولا الماشي بظل ماشي .

١٤١- الدنيا دولاب يوم معك ويوم عليك .

١٤٢- خذوا اسرارهم من صغارهم .

١٤٣- الدم ما بيصير ميّه : اي ان القريب لا يمكن ان يتخلى عن قريبه .

١٤٤- الجنّة بلا ناس ما بتنداس .

١٤٥- بيمسح جوخ ؛ أي يتملق .

١٤٦- حبل الكذب قصير .

١٤٧- لا حق العيّار عَ باب الدار .

١٤٨- حطّوا ذنب الكلب بالقالب ٤٠ سنة طلع أعوج . اي ان من به خصلة او عادة لا يمكن ان يتركها .

١٤٩- البيت اللي بتوكل منه لا تدعي عليه بالخراب .

١٥٠- من عاشر القوم ٤٠ يوم صار منهم .

١٥١- بطيختين بالإيد ما بنحملوش .

١٥٢- اللي ما بدّه يجوّز بنته بغلّي مهرها .

١٥٣- يقتل القتيل ويمشي بجنازته .

١٥٤- اشتغل الجمعة والعيد ولا تعوز اخوك السعيد .

١٥٥- على هامان يا فرعون .

١٥٦- صام وصام وافطرعَ بصلة.

١٥٧- رعيّة يوم بتياسة سنة.

١٥٨- البير اللي بتشرب منه ما ترميش فيه حجر.

١٥٩- اكرام الميت دفنه.

١٦٠- عَ قد فراشك مدّ رجليك.

١٦١- ضربوه عَ بطنه قال اخ يا ظهري.

١٦٢- الجمل بيعرج من ذانه.

١٦٣- رضا الاب من رضا الرب.

١٦٤- الكذب ملح الرجال.

١٦٥- بوس الكلب من ثمه تا توخذ حاجتك منه.

١٦٦- بوس الايادي ضحك عَ اللحا.

١٦٧- صابح القوم ولا تماسيهم.

١٦٨- اعزب دهر ولا ارمل شهر.

وهذه بعض الأمثال مع المناسبات التي قيلت فيها ومرادفاتها العربية:

١- سعد ذابح: ومناسبة هذا المثل هي انه في شهر كانون الاول وكانون الثاني تهطل الامطار بغزارة، وكان فتى اسمه (سعد) يرعى الابل واذا بالامطار تهطل بغزارة لامثيل لها، فخافت والدته عليه واخذت تولول، فقال لها زوجها: سعد ذبح نجى، ما ذبح ما نجى». وفعلا ما كان من سعد عندما رأى غزارة الامطار الا ان ذبح ناقه وافرغ بطنها من احشائها ورمى بها واحتفظ بالمعلاق، ثم سلخها فوضع الجلد على ظهره وصار يأكل من المعلاق، وظل هكذا حتى توقفت الأمطار عن الهطول وعاد الى اهله سالماً، فصار مثلاً وصار الناس يرددون كلام والده لوالدته (سعد ذابح) اي انه ذبح الناقة فنجى من خطر الامطار الغزيرة.

٢- شروة ما حضرها نابلسي: يشتهر اهالي مدينة نابلس بالتجارة واتقانها والتفنن بها، وقلّما يستطيع احد ان يغلب تاجر نابلسي، فاذا حدث ان تمت عملية شراء بسعر مناسب ومعقول فيقولون: شروة ما حضرها نابلسي للتعبير عن سهولتها.

٣- ما حدا بيقول عنه زيته عكر: اي ان كل انسان يعجب بما يخصه، وهو يشبه المثل

الآخر (القرد في عين امّه غزال)، وهو يشبه المثل العربي القائل: (كل فتاة بأبيها معجبة) الذي اول من قالته العجفاء بنت علقمة السعدي.

٤- اللي بعرف بعرف واللي ما بعرف بقول كفّ عدس، يضرب في الامر يخفى على الناظر فيه علمه وحقيقته، وهو يشبه المثل العربي القائل: (لا يعلم ما في الخف الاّ الله والاسكافي: وأصله ان اسكافيا رمى كلباً بخف فيه قالب خشب فأوجعه جداً، فجعل الكلب يصيح ويجزع، فقال له اصحابه من الكلاب: أكلّ هذا الصراخ من ضربه خف؟ فقال: لا يعلم مافي الخف الا الله والاسكافي، فذهب قوله مثلا.

٥- اعمل خير شر تلقى: يضرب لمن يقدم خيراً لاحد فيقابله بالاساءه وهو يشبه المثل العربي: «كمجير ام عامر» الاعرابي الذي اجار الضبعة فاكلته، فقال الشاعر فيها

ومن يصنع المعروف مع غير اهله ... يلاقي الذي لاقى مجير امّ عامر

ادام لها حين استجارت بقربه ... لها محض البان اللقاح الدرائر

واسمنها حتى اذا ما تكاملت ... فرته بانياب لها واظافر

فقل لذوي المعروف هذا جزاء من ... بدا يصنع المعروف في غير شاكر

٦- اعط الطبخة للطباخ لو بوكلها: يعني استعن على عملك بأهل المعرفة والحذق فيه، ويقابل المثل العربي القائل: «اعط القوس باريها» وقال الشاعر:

يا باري القوس برياً لست تحسنها ... لا تفسدنّها واعط القوس باريها

٧- رجع ايد من ورا وايد من قدّام، وهو يشبه المثل الآخر القائل تيتي تيتي مثل ما رحت جيتي، ويقابله المثل العربي المشهور (رجع بخفيّ حنين) والمثل الذي قاله ابو عمرو: اظنّ ماءكم هذا ماء عناق!» وهو دليل الخيبة والفشل في تحقيق المطلوب.

٨- علّمنا هم الشحّادة سبقونا عالطوابين، وهو يشبه المثل الآخر: علمته الصلاة سبقني عالحصيرة وهو يشبه المثل العربي: لما اشتد ساعده رماني يضرب لمن يسيء لشخص سبق وان احسن اليه، قال الشاعر:

فيا عجبا لمن ربّيْتُ طفلاً ... أُلَقِّمُهُ باطراف البنان

أُعلّمُهُ الرّماية كلّ يومٍ ... فلما اشتدّ ساعدُهُ رماني

وكم علمّتُه نظم القوافي ... فلمّا قال قافية هجاني

٩- قلبي عَ ولدي وقلب ولدي عَ الحجر، يضرب لرقة قلب وحنان الأم على ولدها وعدم حنان الولد على أمه، وهو يقابل المثل العربي «تأبى له ذلك بناتُ البُبي» ، قالوا : بنات الببي عروق في القلب تكون موطن العطف والحنان. وأصله ان رجلاً كانت له امّ عجوز، فقالت له زوجته لا ارض عنك الا اذا اخرجت هذه العجوز عنا، ولما اكثرت عليه حمل امّه على كتفيه ليلا ووضعها في واد كثير الوحوش، ثم تنكّر لها (أي انتحل شخصية رجل آخر) فمرّ بها وهي تبكي ، فقال لها: ما بكِ يا عجوز؟ فقالت : طرحني ابني ها هنا وذهب وانا اخاف ان يأكله الاسد، فقال لها: تبكين له وقد فعل بك ما فعل ، هلاّ تدعين عليه بالشّر ، فقالت : تأبى له ذلك بناتُ الببي». فقال الكميت :

اليكم ذوي آل البُبي تطلعت نوازعُ من قلبي ظماءُ وألبُب

١٠- ضربني وبكى وسبقني واشتكى : وهو يضرب للظالم في صورة المتظلم، ويقابل المثل العربي « تلدغ العقرب وتصيء (تصرخ) .

١١- من برّا نقشه نقشه ومن جوّا . . محشي . يضرب لمن خالف مظهره جوهره ، وهو يقابل المثل العربي : «ترى الفتيان كالنخل وما يدريك ما الدّخل» وهذا مشابه للحديث النبوي الشريف :

إيّاكم وخضراء الدّمن. قيل وما خضراء الدم يا رسول الله ، فقال الفتاة الحسناء في منبت السوء.

١٢- مثل كلبة تعنك[1] ، ويشبه المثل الآخر : مثل مصيّفة الغور وهو يضرب لمن يطلب شيئاً فاته فلا يستطيع الحصول عليه. وهو يقابل المثل العربي : « في الصيف ضيّعت اللبن» ، وقد قيل لامرأة تدعى دختنوس بنت لقيطة من زرارة التي كانت تحب عمرو بن عمر بن عدس وكان شيخاً كبيراً ففركته فطلّقها، ثمّ تزوجها شاب وسيم، واجدبت احدى السنين فبعثت الى عمر تطلب منه حلوبة، فقال عمرو: في الصيف ضيعت اللبن فلما رجع الرسول وقال لها ما قاله عمر وضربت يدها على منكب زوجها الشّاب وقالت :

«هذا ومذقه خير»، تعني ان زوجها الشاب مع عدم اللبن خير من عمرو. فذهبت عباراتهما مثلين. وانّما ذكر الصيف لأن طلاقها منه كان في فصل الصيف.

(١) قرية من قرى جنين

١٣- هربنا من عزرائيل اجانا قبّاض الارواح : يضرب لمن يهرب من مشكلة او شخص ما فيقع في مشكلة او شخص ما يشبه الأول، وهو يقابل المثل العربي : « كالمستجير من الرمضاء بالنار» . (عزرائيل هو قبّاض الارواح، والرمضاء هي النار).

١٤- بنقول له ثور بقول احلبوه : يضرب للإصرار على الخطأ ، وهو يشبه المثل الآخر : « عنزة ولو طارت» ، وقصة هذا المثل ان صديقين شاهدوا عن بعد شيئاً اسود، فقال احدهما للثاني ما ذلك ؟ فاجابه : عنزة (معزة) فماذا تراه انت ؟ فاجابه غراب، واصر كل منهما على رأيه، ولما اقتربا منه طار في الجو، فقال الثاني للأول : ألم اقل لك انه غراب، فها هو قد طار، فاجابه الأول : قلت لك عنزة ولو طارت ، وهو منتهى التعنت والتصلب في الرأي حتى ولو كان خطأ.

١٥- شايب وعايب: يضرب للرجل كبير السن اذا اتى فعلا قبيحاً، ذلك ان الانسان اذا تقدمت به السّن يرجع الى ربه ويجنح الى التوبة والتزهد، ويسلك في حياته حسبما يقتضيه وقار الشيب، قال الشاعر :

وان سفاه الشيخ لاحلم بعده وإنّ الفتى بعد السّفاهة يحلم

١٦-وقعت البقرة وكثروا السكاكين: يضرب لمن تنكرت له الايام وفقد مركزه . كموظف انهى خدمته او غني افتقر، فابتعد عنه اصحابه وكثر خصومه وتهافت الناس على النيل منه، واتهامه باتهامات كثيرة هو منها بريء . وأصل المثل ان وزيراً عزل عن وزارته فجفاه من كان بالأمس يتزاحمون ببابه، فأصبح مهجوراً ، ثم ثبتت براءته مما نسب اليه فاعيد الى منصبه ، فقال :

تحالف الناس والزمان فحيث كان الزمان كانوا
عاداني الدهر نصف يوم وانكشف الناس لي وبانوا
يا ايها المعرضون عني عودوا فقد عاد لي الزمان

١٧- لو الجمل بشوف حدبته كان طق ومات، وكذلك المثل : الجمل ما بشوف حدبته، يضرب لمن همه مراقبة الناس وذكر عيوبهم، وهو عن عيوبه غافل، وفيه قال الشاعر:

لسانك لا تذكر به عورة امريء فكلّك عورات وللناس ألسن
وعينك إنْ أبدت اليك معايبا فقل يا عين للناس اعين

الحكايات الشعبية والخرايف

إن قص الحكايات والاساطير والخرايف من الوظائف الثابتة في مجتمع القرية، ويتمتع الراوية بمكانة مرموقة سواء على صعيد الاسرة او القرية. وقد كانت الحكاية الشعبية في اول امرها ابداعاً فردياً لراوية ما غير معروف الهوية، الا انها تصبح بعد تواتر الروايات ادباً جماعياً، لا باعتبار اصلها ولكن باعتبار مصيرها ولأنها تعكس الروح الجماعية للجماعة وتأليف الحكاية الشعبية هو عمل كل من اشتركوا في النقل والرواية وهو - كما اسلفنا- في الاصل فردي ولكنه اصبح للجماعة، فقد توارى الفرد وحلت محله الجماعة.

وما تجب ملاحظته هو أن تدوين القصص الشعبي باللغة الفصحى يجعله يتنازل عن قدر كبير من الحرية الشفوية التي تجعله سلس القياد لكل تغيير او تبديل او ترتيب جديد او حذف او اضافة او غربلة، وفي هذه الحرية الكثير من عوامل القدرة على التطور والنماء والتجاوب مع واقع مجتمع هذا الادب الشعبي. كما ان التدوين بالفصحى يخلق ذلك الجو من الغربة الذي يفصل القارئ والباحث عن الجو الشعبي الاصيل الذي لا يمكن ان تعكسه سوى التعبيرات الشعبية الاصيلة التي استعملها الراوي كانعكاس لظروف بيئية محضة.

ونود ان نسجل هنا ظاهرة التحرز من الخطأ والخشية من الوقوع فيه. لذا نلاحظ ان الراوية قبل ان تذكر خبراً حساساً او غريباً تقول: على ذمة الراوي، او مثل ما قالوا او على ذمتهم، او انا يا ربي لا اريت ولا شفت، وهذه العبارات كلها تدل على ان الراوية تخشى عقاب الله على كلامها فتتحرز منه.

ان هناك فكرة اساسية تراود مبدع الحكاية الشعبية، ويخضع هذا المؤلف منطق الاحداث جميعها في الحكاية لتوضيح تلك الفكرة والوصول الى النتيجة التي رسمها بذهنه. وهو لا يهتم بواقعية الاحداث، بل يسيّر تلك الاحداث لتحقيق فكرته.

ويرى بعض الباحثين في الفلكلور او التراث الشعبي ان اصل القصص الشعبي غير مقتصر على وطن معين، ولم يستأثر به شعب معين من الشعوب، بل ان صور التفكير الشعبي قد تمثلت وتتمثل في جميع الازمان وعند جميع الشعوب. واذا حدث ان نشأت حكاية ما في مكان معين من الكرة الارضية فالارجح انها تنتشر في شكل دوائر كتلك التي نراها عندما نلقي حجراً في الماء.

وقد تكون الحكاية الشعبية المستحدثة ذات اصل فارسي او هندي او صيني او عربي، وبعيداً عن جوهر الحكاية ومغزاها نلاحظ ان المعطيات الحضارية التي يعكسها النص

المستحدث هي معطيات البيئة المحلية الحاضرة والمعاصرة لوقت قص الحكاية، ويعود ذلك لأن النقل الشفوي لا يساعد على ان تعلق بذهن الراوية تفصيلات تعين على تحديد البيئة القديمة، كذلك فإن ذوق السامعين للراوية يفرض عليه ان يروي اشياء يستطيع ان يراها او يلمسها مستمعوه في حياتهم العادية والا فإنه لن يستطيع شدهم إليه.

ويلاحظ في الحكايات الشعبية التي ترويها نساء مسنّات (عجائز) للأبناء والأحفاد ان ملامح الحياة اليومية الحديثة هي التي تفرض على أجواء حكايات ربما يقدر عمر نصّها الأصلي بمئات أو آلاف السنين، فهي تستعمل مواقع جغرافية مألوفة، وألفاظا دارجة ومعروفة بين عامة الناس.

وهناك ضروب متنوعة من القصص الشعبي منها الحدّوثة والحكاية والاسطورة.

فالحدوثة نشأت مع الانسانية في طفولتها الاولى الساذجة، وعلى هذا الوضع الفطري الساذج عاشت الحدوثة في بيئة الاطفال الصغار وفي حدود ادراكهم ومستواهم، وما زالت حتى الآن داخل هذا الإطار الذي نشأت فيه. والحدوثة انعكاس لخوف الانسان من الطبيعة المخيفة والمرعبة لذلك نرى ان ابطالها هم من الوحوش المفترسة والجن والاشباح والافاعي.

اما الحكاية فهي من المحاكاة او التقليد، وهي ترتبط بمحاكاة الواقع او على أقل تقدير بمحاكاة واقع نفسي يقتنع اصحابه بحدوثه. لقد كانت الحكاية طوراً جديداً في حياة الانسان القصصية نشأت مع الانسان الناضج في حياة المدينة ذات الجماهير الفقيرة وذات المتاعب والمصالح المشتركة، وبعد ان اصبح الانسان قادراً على السرد والنقد والملاحظة ويملك قدراً كبيراً من الذكاء البارع، فقد عاشت الحكاية الشعبية وسط بيئة ثقافية اكثر تقدما من المرحلة السابقة وعلى اتصال باحداث وافكار الازمنة القديمة، وموضوعاتها تجارب واحداث شخصيات انسانية مجهولة. وهي مثل الحدوثة تتخذ في كثير من الاحيان من الحيوانات والحشرات والطيور والجن والعفاريت والشياطين فتحركهم كما تريد وتستنطقهم بما تريد، ولكن الحدوثة تقصد من ذلك اثارة دهشة الاطفال وتخويفهم، بينما الحكاية تستعملها للرمز والتخفي وراءها.

اما الأساطير فالمقصود بها اساطير السلف وأساطير الآلهة والابطال وانصاف الآلهة، وهي شكل من اشكال الديانات والتفكير الروحاني للانسان ومحاولة تفسير الظواهر الطبيعية والتوصل الى معرفة كنه الكون وأصله. وهي تنتمي للمراحل البدائية الاولى للفكر الانساني، ويعرفها العالم سير جورج لورنس جوم على انها العلم البدائي والعقائد البدائية في تفسير اصل الانسان والشمس والقمر والنجوم والارض.

التاريخ أُسُس وحجر الزاوية، تلك حقيقة مسلّم بها لبناء المثقف الحقيقي في أي زمان ومكان.

والدكتور حكمت فريحات - مؤلف هذا الكتاب- وهو الغني عن التعريف لغزارة انتاجه العلمي، ونشاطاته الاجتماعية والخيرية، هو أحد أبناء اليامون البَرَرَة الذين جعلوا من الثقافة تاريخاً ومن التاريخ ثقافة، ألتقي معهم في حب اليامون والوفاء اليها والانتماء لها أرضاً وهواء وتاريخاً وناساً، حبًّا لا يشوبه نفاق من أي نوع كان ووفاء وإنتماء نابعاً من شغاف القلب بحكم الغربة عن أرضها وناسها.

ولأنني أعشق اليامون فقد شرفني الدكتور حكمت بكتابة هذا التعريف بكتابه «اليامون» ويقيناً أعترف أنني مهما كتبت فلن أفي الدكتور حكت حقه، ولن أفي اليامون حقها، وهذا الكتاب الذي بذل الدكتور حكمت جهوداً كبيرة منذ سنوات طويلة في تزليفه وجمع مادته، وواجه من الصعوبات والإحباطات ما كانت كفيلة اضعاف عزيمته، وثنيه عن هذا العمل الجليل لولا ما يتمتع به من إصرار وصبر ومثابرة أَهَّلته لانجاز هذا الكتاب الذي تحدث فيه عن اليامون تاريخاً، وجغرافياً، وسكاناً، وفلكلوراً، ومختلف مناحي الحياة السياسية والنضالية والعلمية والصحية والاجتماعية وغيرها.

وإنني على يقين بأن القاريء سيجد في هذا الكتاب ضالته المنشودة وسيجد جواباً لكل سؤال يخطر بباله عن اليامون وسكانها، حتى ألعاب الأطفال في حاراتها، ولباس نسائها ورجالها، وعاداتهم في مناسباتهم الاجتماعية والدينية وحتى خرايف الجدّة حول الكانون، بحيث أن هذا الكتاب لا غنى لأحد من أبناء اليامون خاصة أو غيرها عامة عن اقتنائه والتمتع بقراءته، وإنني إذا أهنيء الدكتور حكمت بهذا الإنجاز العلمي الرائع فإنني أتمنى له مزيداً من النجاح والتوفيق في كتابات جديدة، وللقاريء العزيز كثيراً من المتعة العلمية والتاريخية.

عدنان إبراهيم فريحات

دار الشروق للنشر والتوزيع - عمان/الاردن - تلفون ٤٦١٨١٩٠ - فاكس ٤٦١٠٠٦٥
دار الشروق للنشر والتوزيع - رام الله - المنارة - فلسطين - تلفاكس ٢٩٦١٦١٤
دار الشروق للنشر والتوزيع - نابلس - جامعة النجاح - تلفون ٢٣٩٨٨٦٢
دار الشروق للنشر والتوزيع - غزة - الرمال الجنوبي - تلفون: ٠٧/٢٨٤٧٠٠٣
E-mail: shorokjo@nol.com.jo